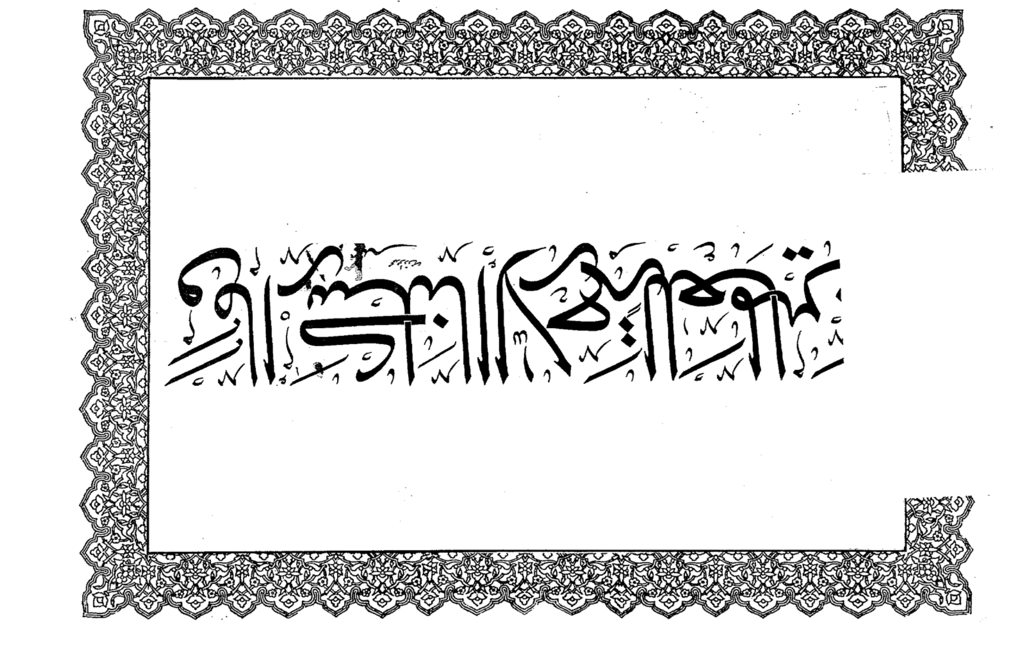
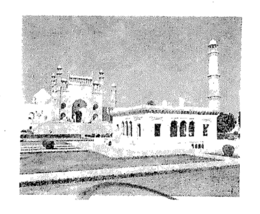


السنة العاشرة — العدد ١١١ — غرة ربيع الأول ١٣٩٤ هـ — مارس ١٩٧٤





مسجد شاه جيهان بمدينة شاتا — باكستان

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشر

العدد ١١١

غرة ربيع الأول ١٣٩٤ هـ

مارس ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

أما الأفراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي — وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ — كويت — هاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨

دوريات إسلامية



وذكرى اعلان حقوق الانسان..

منذ بضع سنوات دق الهاتف فكان المتكلم كبيرا مسئولا في هيئة الأمم المتحدة من احدى دول امريكا اللاتينية ، قال : انه سمع سفير اندونيسيا بالأمس في خطاب القاه على احد المحافل الدولية يسوق آيـة ذكر أنها من القرآن الكريم وفيها يخاطب الله عباده بأنه خلقهم جميعا من أصل واحد وانه لا فضل لأحد على آخر الا بالعمل الصالح ، ثم قال هذا المتحدث إنه حاول العثور على هذه الآية في النسخة القرآنية التي بيده ، وهي باللغة الاسبانية ترجمة عن الأصل العربي فلم يجدها ، فأدركت أنهـا الآية التي تقول : **((يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير))** فدللته على موضعها من الكتاب الكريم وذكرت له أنها الآية رقم ١٣ من السورة رقم ٤٩ (سـورة الحجرات) ، فقلب صفحات الكتاب الذي بيده ، ثم صاح مسرورا وقال انه قد عثر عليها ، ثم صار يترجم ما يقرؤه من الاسبانية الى الانجليزية ليطمئنني على انها الآية التي يتطلبها ، وابدى اعجابه من أن يشتمل هذا الكتاب الكريم الذي أوحي به منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا على هذه التعاليم الانسـانية الجليلة قبل صدور اعلان حقوق الانسان في العصر الحديث .

ذكرت ذلك الحادث في الشهور القليلة الماضية حيث احتفلت هيئة الأمم المتحدة واحتفل العالم معها بالعيد الفضي لاعلان حقوق الانسان ، اعني تلك الوثيقـة التاريخية التي صاغتها هيئة الأمم ووافقت عليها وأوصت وصـاة مؤكدة ان تعمل جميع الدول الأعضاء بمقتضى هذه الوثيقة ، وكان اعلانها في العاشر من ديسـمبر عام ١٩٤٨ ، واعتبر اعلانها حجر زاوية في تاريخ

الانسانية لما اشتملت عليه من وصايا انسانية جليلة ، والوثيقة ــ كما هو معلوم ــ تحتوى على ثلاثين مادة ، ولكنها كلها تدور حول مبدأ المساواة وكرامة الانسانية ، ومبدأ حرية الفرد ، وسائر موادها تدور حول هذين المبدأين أو ترجع إليهما .

وقبل مقدم تاريخ تلك الذكرى بأشهر ، اهتمت هيئة الأمم المتحدة ووكالاتها الفنية المختلفة باعداد العدة للاحتفال بالذكرى ، فعقدت الاجتماعات وتبودلت المذكرات ونشرت المقالات ، والقيت الاحاديث ، ولا نزال نقرأ وتصلنا المقالات والوثائق الخاصة بهذه المناسبة .

ثم ذكرني بالحادث الذى سقته أول هذا المقال مقدم المولد النبى الشريف ، مولد الهدى والنور ، مولد اعلان الحقوق الانسانية اعلانا تاما كاملا شاملا صحيحا ، وجذبني ذلك كله الى التأمل ومقارنة ما ورد بهذه الوثيقة وخاصة من حيث هذه المبادىء المذكورة ، وما جاء محمد بن عبد الله فى القرن السادس الميلادى ، فى زمن أهدرت فيه كرامة الفرد ، وفشا فيه الظلم والجهل والبغى والفساد ، ولفت نظرى الى ذلك بالأكثر ما ورد بالخطب والأحاديث والمناقشات والمقالات فى هذا الصدد ؛ اذ كان اكثرها نقدا مرا لما عليه وضع الانسان الحالى ، وفشل الأمم فى تطبيق نصوص هذا الميثاق ، فقد ذكروا أن العالم لا يزال يعانى من ويلات الحروب أو من الخوف منها ، ولا تزال السجون مشحونة بالابرياء ، ويعامل أسرى الحرب معاملة وحشية غليظة ، فتخلع أظافرهم وتكوى جلودهم ويغمسون فى الماء او يعلقون فى الهواء بعد طول الحرمان من النوم والطعام والشراب لإكراههم على الإدلاء بمعلومات فى صالح جلاديهم ، بل تعذب أطفالهم ويعتدى على حرمهم أمام اعينهم من أجل ذلك ، وقالوا : لا يزال القوى يعتدى على الضعيف ، ولا تبالى الدول الكبرى بمصالح الدول الصغرى ، ولا تزال الانسانية تعانى من التفرقة العنصرية المريرة . الى غير ذلك مما يتنافى مع الكرامة الانسانية ويتعارض مع نص اعلان الحقوق الانسانية .

وهكذا كان تقييم المختصين لأثر اعلان حقوق الانسان سلبيا ، فلم يحقق هذا الاعلان ما توقع له الناس من نجاح ، فلم يغير وجه التاريخ ولم يسهم فى تقدم الانسانية شيئا يذكر .

كل هذا أحضر فى الذهن مزايا تعاليم الرسول وفضل هدى ديننا الحنيف ، واذا كانت الامم تهتم بتخليد عظمائها وتجدد ذكرى كفاحهم بالاحتفال بأعياد ميلادهم ، فالرسول الكريم ــ خير البشر وسيد الأنبياء وافضل المصلحين ــ الأجدر بالخلود ، وتعاليمه وهديه أولى بالمذاكرة والمراجعة ، وبيان مزاياها وفضلها ، وخاصة فى مناسباتنا الدينية من مثل مولده الكريم الذى نحتفل به هذه الأيام .

لقد سبق هدى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم معلنا حقوق الانسان قبل أن تعلنها الوثيقة الحديثة عام ١٩٤٨ بقرون طويلة ، والواقع أن اعلان حقوق الانسان لم يأت بشىء لم ينطو عليه كتاب الله أو سنة رسوله ، ولقد رأينا كيف دهش المسئول الكبير بهيئة الأمم المتحدة عندما رأى

أن اعلان مبدأ المساواة والكرامة قد عبر عنه كتابنا الكريم بأعلى أسلوب وأبلغه قبل اعلان المساواة في وثيقة حقوق الانسان بأكثر من ثلاثة عشر قرنا ، واعلان المساواة بالوثيقة الحديثة الفاظ بدون روح وعبارات لا يصحبها الايمان ، أما ما ورد بالكتاب العزيز عن المساواة والكرامة فهى تعاليم مؤكدة من لدن الخالق المبدىء .

يعبر الكتاب الكريم عن المساواة بوحدة الأصل ، اى كون مصدر الجميع واحدا ، ذكرا وأنثى ، ويكرر ذلك الكتاب العزيز بأسلوب آخر فيقول : **((والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا))** ويقول : **((منهـا خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى))** ويقول : **((ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين))** ، ويحرم التمييز والتفرقة فيقول : **((.. ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله))** ويقول : **((والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادّى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء))** ، ويقول الرسول الكريم : ((الناس سواسية كأسنان المشط)) .

أما مبدأ الكرامة الانسانية واحترام الفرد ذكرا كان أو أنثى ، فيتجلى فى جعل الله الانسان خليفة فى الارض ، وأمره الملائكة بالسجود لآدم ، وتفضيل بنى آدم على العالمين ، قال سبحانه : **((ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا))** ويقول : **((ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم))** ، وقال : **((لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم))** ، ويقول سبحانه : **((ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين))** ثم ان الاسلام حض على اكرام الضعيف ونهى عن الاهانة حتى حين اعطاء الصدقات فقال : **((قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى))** ، كما حث على اكرام الأسير وعتق الرقاب وجعل ذلك من أعظم الحسنات وكفارة عند ارتكاب بعض السيئات ، وحض الناس على أن يطعموا من تحت يدهم مما يطعمون ويكسوهم مما يكسون ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : ((اخوانكم خولكم)) .

فغرس الاسلام بتعاليمه الرشيدة مبدأ المساواة الانسانية وكرامة الفرد فى نفوس المسلمين حيث أعلن عن ذلك الخالق الذى يؤمنون به ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، لذلك يلتقى المسلم بأخيه المسلم وقد قدما من بلدين بينهما آلاف الأميال فلا يعنيه شكله ولا لونه وانما يعنيه انه يشاركه ايمانه بالله ورسوله ويشاركه الاعتقاد بمبدأ الوجود ومصير الوجود وما يتفرع عن ذلك من قيم ومثل : ولقد طبق الرسول صلوات الله وسلامه عليه وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده هذه المبادىء تطبيقا واقعيا عمليا ، فكان الرسول نفسه — رغم عظيم فضله وارتفاع منزلته فوق العالمين — يجلس حيث ينتهى به المجلس ، ورضى من الدنيا بالقليل ، وقال : ((انما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة)) ، وقال : ((سلمان منا آل البيت)) ، واختار عتيقا حبشيا ليكون مؤذنه ، ولو أطلقنا العنان لما اثر عن كبار الصحابة والراشدين فى هذا الصدد لطال الكلام وضاق بنا المقام .

فما جاء به الاسلام من المساواة والعدالة والكرامة الانسانية هى

مبادىء مشتقة من الايمان بالله كما ذكرنا ، مبادىء صريحة صادقة فعالة ، ولا تعانى البيئة الاسلامية حتى اليوم ــ بالرغم مما حل بها من الفساد على مر الدهور ــ مما تعانى منه البيئة الغربية من مشاكل عنصرية عميقة المدى ، تتنكر فى كثير من الأحيان للانسانية ، وتفرق بين الأبيض والأسود والغربى والشرقى والرجل والمرأة ، كما تتجاهل كثيرا حق الفرد من الكرامة والمعاملة الحسنة العادلة .

اما مبدأ الحرية الفردية كما ورد باعلان حقوق الانسان فان الوثيقة لم تكفل شيئا لضمان تنفيذه ، وتركت فجوات واسعة ينفذ منها ذوو المصالح الجشعة والاغراض غير الشريفة ، ولم تصنها بسياج يحميها من عدوان النفعيين المنحلين وتوسعهم فى تأويلها وتفسير مداها ، فترى الصهيونيين مثلا يبالغون فى حرية الفرد وحقه فى الهجرة التى نص عليها (الاعــلان) للضغط على الحكومة الروسية للسماح لليهود من مواطنيها بالهجرة الى اسرائيل ليستعمروا ما يغتصبون من أرضنا العربية الاسلامية ظلما وعدوانا ، وهم فى نفس الوقت يحرمون من هذا الحق مئات الآلاف من الفلسطينيين الذين طردوهم من بلادهم واغتصبوا أرضهم وديارهم ، كما يسىء الكثير من المسيطرين على الصحافة ودور النشر فى الغرب استعمال هذا الحق بدعوى حرية الصحافة وحرية التعبير فيستبيحون الطعن والذم ، ويخوضون فى حق من لا يتبع أهواءهم ، وينالون حتى من شخصيات الرسل والأنبياء الكرام ، كما ان الإباحيين يستغلون هذا الحق فيستخدمونه فى نشر موادهم الفاتنة الخليعة داعين للفوضى والقضاء على الموروث من قيم ومبادىء خلقية ، فأصبح الاتصال الجنسى بين شخصين بالغين خارج الزواج أمرا عاديا فى نظر هؤلاء ومن قبل فلسفتهم من ملايين (المتنورين) المنحلين ، وينعون على من ينقد ذلك أو يسميه (بالزنا) ويعتبرون ذلك رجعية فاسدة ! فتيسرت وسائل منع الحمل كى يتمتع الشباب والشابات دون أن تتعرض الفتاة لمشـاق الحمل ومتاعبه ، ولا تتردد الأم فى ذلك الجزء من العالم فى حض بنتها غير المتزوجة على تناول حبوب منع الحمل ، واذا حدث أن حملت الفتاة فان ذلك قد أصبح بحيث لا يضر سمعتها ، وأصبح اصطلاح (أم غير متزوجة) اصطلاحا مألوفا مستعملا ــ ومع هذا فهناك عيادات الاجهاض منتشرة فى البلاد تقوم بهذه العملية بسهولة وسرعة وعلى حساب الدولة أحيانا ، وكثر الترويج لما يسمونه (الزواج المفتوح) الذى لا يلزم أحد الطرفين ــ أعنى الزوج والزوجة ــ بقصر نشاطهما الجنسى عليهما بل يزعمون أنه ينبغى فتح الباب لكل منهما للاتصال بالأجنبى والأجنبية جنسيا للترويح والتغيير ، ومن العجيب انهم يزعمون ــ وما أعجب ما يزعمون ــ أن هذا أدعى لدوام العلاقة الزوجية ، وبالتالى انفع فى الجو العائلى ، معاذ الله !

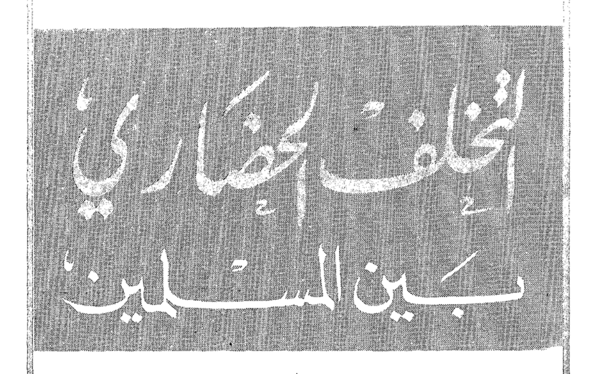
وحتى عبارة (الشـذوذ الخلقى) يريدون محوها من القواميس ، ويزعمون انه كما أن هناك أفرادا يؤثرون الاتصال الجنسى بأفراد من الجنس الآخر ــ وهم غالبية الشعوب ــ فهناك من يؤثر الاتصال الجنسى بفرد من نفس الجنس ذكرا أو انثى ، ثم يزعمون ويؤكدون أن ذلك أمر عادى وخلقى

وطبيعى ولا يسوغ اعتباره شذوذا أو خطأ ، ويزيدون فيقولون : إن القول بشيء من ذلك ظلم من الأغلبية للأقلية ، ونتيجة لأعمال الإباحيين كثر نشر الكتب والمجلات الخليعة وتعددت الأفلام الفاسدة الضارة المكشوفة المستهترة ، وأضحى لمن نسميهم بذوى الشذوذ الخلقى نواد وجمعيات ومؤسسات دون حياء ولا خجل ، حدث كل ذلك باسم حرية الرأى وحرية التعبير مع مخالفة هذا كثيرا لمبدأ الحرية الصحيح كما يخالف كذلك ـــ فيما نرى ـــ مبدأ الكرامة الانسانية .

جاء الهدى المحمدى بمبدأ حرية الفرد ولكنه صان هذه الحرية وكفلها بما يضمن صالح الفرد والجماعة ويرضى الله تعالى ، يقول سبحانه : « **انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا** » ويقول : « **وهديناه النجدين** » ، ويقول : « **لا اكراه فى الدين** » ويقول : « **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » ويقول : « **فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا** » ، ورفع الاسلام الحظر عمن تورط فى محظور مكرها ، فقال صلى الله عليه وسلم : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ، ولكن الاسلام اذ يكفل الحرية الشخصية فانه يرعاها ويصونها ويصون صالح الفرد والجماعة ، فهى حرية فيما ليس بضار أو محظور ، فلا حرية فى العدوان على الحقوق والأعراض او انتهاك حرمات الله ، ولا يسوغ نشر الفساد او الاعتداء على القيم بحجة حرية الصحافة أو حرية التعبير ، والمسلم اذ يستغل حقه من الحرية التى كفلها له دينه يعرف انه مسئول أمام الله وأمام ضميره ، محاسب على كل أعماله ، وهو يعرف ويؤمن بأن الله تعالى مطلع على كل ما يعمل ويعلم ما خفى فى الصدور ، فالحرية ليست قاصرة على المحظوظين بالسلطان أو النفوذ أو من يملكون دور النشر أو الصحافة ، أو على بعض الاجناس الانسانية التى تدعى لنفسها مزية على غيرها ، بل هى حرية يتساوى فيها الكبير والصغير والغنى والفقير ، والقوى والضعيف ، وهى حرية للانسانية عامة وفى صالح الانسانية كلها ، ثم هى محدودة بحدود من الايمان وعمل الضمير ، لا بحدود ناشئة عن ضغط وارهاب ، وهى حرية ذات مغزى وروح تعمل فى السر والعلن والظاهر والباطن ، لا حرية قانونية جافة تحسب حساب البوليس والقضاء وضغط الرأى العام فتستبيح ما تشاء فى غيبة البوليس وغفلة أعين الناس .

فحقوق الانسان كفلها الاسلام على خير وجه ، وكان محمد بن عبد الله الذى تحتفل هذه الايام بذكرى مولده ، معلنها ، والداعى اليها ، وحامل لوائها ، والمبشر بها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

الدكتور : محمد عبد الرءوف



للدكتور محمد البهى

* الحضارة هى الانتاج البشرى : الفكرى ، والوجدانى ، والارادى ، لزيادة امكانيات الانسان فى سعيه فى الحياة ، وفى تغلبه على مشاق العيش فيها ، ولرفع مستوى انسانيته فى تقدير ذاته ، وفى علاقة الأفراد بعضهم ببعض .

والحضارة بهذا المفهوم لها جانبان : جانب مادى .. وجانب انسانى :

فالجانب الحضارى المادى هو ما يتمثل فى تقدم البحوث العلمية التجريبية وفى مدى تطبيقها فى المجالات الصناعية المختلفة . أى يتمثل فى تطور العلوم الطبيعية . وعلى وجه أخص فى علوم الحيوان — والنبات — والمعادن — والكيمياء ، وفى قيام الصناعات التى تؤسس على نظرياتها المتجددة ، لخدمة الانسان فى المرافق العديدة : فى السكن ، والنقل ، وفى وسائل التعليم ، ووسائل الوقاية من الأمراض أو المعالجة منها .

والجانب الحضارى الانسانى هو ما يتمثل فى المستوى السلوكى الرفيع وفى حسن العلاقة بين الأفراد التى تقوم تلك العلاقة على الاحساس المشترك بالقيم الانسانية ، متجاوزة الاحساس بعلاقة الدم ، والأسرة ، والقبيلة ، والعرق والعنصر .

وتوضع الحضارة — عند توضيحها — فى مقابل البداوة . وهى الفطرة الأولى للانسان قبل تهذيب طبيعته . ولهذه البداوة مظاهر فى أسلوب الحياة ، وفى السلوك ، وفى المعاملة ، تنم جميعها عن دفع أنانى يسيطر فى الانسان . نحياة البدائى لا تقوم على بساطة الوسائل المادية فحسب فى السكن والنقل ،

والمعيشة . بل كذلك استخدامه لهذه الوسائل يدل على تشبثه بالبقاء وحده ، فى غير رعاية للآخرين معه ، وسلوكه يصدر فيه عن ارتباط وثيق بالذات ، دون ما سواها . ومعاملته للآخرين تبعد كل رعاية لحق : فى وجودهم وفى حياتهم المشتركة معه ، وان كانوا ذوى قربى قريبة له .

وهكذا : البداوة والحضارة مفهومان يستخدمهما الانسان : مرة للتعبير عن وقوفه عند طبيعته ، مغلقة وغير مشذبة ، وعند خصائص هذه الطبيعة فى المعيشة ، والسلوك ، والمعاملة . ومرة أخرى للتعبير عن تجاوز هـذا الوضع المغلق الى وضع التفتح والتطور والتحرك نحو ما يزيد فى طاقاته ، ويعينه على اجتياز الصعاب فى الحياة ، ويوثق أواصر القربى فى الانسانية بينه وبين الآخرين معه فى المجتمع .

وكما هما مفهومان ، هما أيضا مرحلتان فى تاريخ الانســان ، وتاريخ مجتمعه . فهناك انسان بدائى ، وآخر حضــارى . وهناك مجتمع بدائى ، ومجتمع حضارى .

* وجانبا الحضارة ــ وهما الجانب المادى ، والجانب الانسانى ــ ليسا متساوقين . أى ليس بلازم اذا وجد أحدهما ان يوجد الآخر حتما . فالتقدم الحضارى المادى هو تقدم فكر ، وعلم ، وتجربة ، وصناعة . والتقدم الحضارى الانسانى هو تقدم وجدان ، وعمل ارادى ، وخلق وسلوك . وهنا قد يوجد انسان أو يوجد مجتمع ، متقدم فى الحضارة المادية ، وهو بدائى أو انانى فى السلوك والمعاملة . كما قد يوجد العكس . وهو انسان أو مجتمع متقدم فى السلوك والمعاملة ، أى غير انانى فيهما ، وهو مع ذلك غير صاحب حضارة مادية ، أى غير صاحب حضارة علمية تجريبية ، وصناعية . وحضارته فى السلوك والمعاملة حضارة انسانية ، يشارك بانسانيته الآخرين معه فى مجتمعه : يحسن ولا يسىء .. وينفع ولا يضر .. ويطمئن ولا يرهب ... ويتحمل ولا يندفع .

ولأن الجانب الحضارى المادى يلفت النظر أكثر من الجــانب الآخر الانسانى : يقع كثيرون ممن يجذبهم التقدم الصناعى أو التيكنولوجى فى حياة المجتمعات المتطورة صناعيا تحت اعتبار : ان التقدم الحضارى المادى يستتبع كنتيجة له مسلمة : تقدما حضاريا فى مستوى الانسانية .. وأن التخلف فى الحضارة المادية والصناعية يلازمه كذلك حتما : التخلف فى الحضارة الانسانية أو تلازمه البدائية . ويستخلصون من ذلك : أن المجتمع أو الانسان الفرد صاحب الحضارة الصناعية هو مجتمع أو انسان ذو تقدم أيضا فى المستوى السلوكى الانسانى ، وبالتالى يفضل ذلك الانسان أو المجتمع الذى لم تكن له هذه الحضارة المادية . وازاء ما يستخلص على هـذا النحو : تكون الريادة لصاحب الحضارة المادية ، وتكون التبعية أو التقليد والمحاكاة له : من فاقد هذه الحضارة .

وينسى هؤلاء الذين يقعون تحت اغراء التقدم الصناعى التيكنولــوجى ، ويستخلصون بسبب وقوعهم تحت اغرائه منطقا حزبيا : أن مقياس الحضارة الانسانية هو فى مدى البعد عن الأنانية فى السلوك ، والمعاملة : نحو الذات ، أو نحو الآخرين . والمنطق المجرد عن التأثر بالاغراء المادى أو بالانجذاب الى

عامل غير موضوعي : ان صاحب الحضارة المادية هو صاحب ريادة حقا فى هذا الجانب من غير شك يجب أن يحاكي ويقلد فيه ممن هو متخلف فيه . وهو أيضا يمكن أن يكون صاحب ريادة فى الجانب الحضارى الانسانى اذا توفر له بالفعل مستوى الحضارة الانسانية فى البعد عن الأنانية .

ولكن اذا كان هو يستخدم تفوقه فى الحضارة المادية : الصناعية والتيكنولوجية فى التخريب والتدمير وسفك الدماء ، أو فى الارهاب وقهر الآخرين واكراههم على ما لا يقبلونه مختارين وفى مشيئة حرة .. أو يستخدم هذا التفوق الحضارى الصناعى فى استغلال الآخرين ، ويصبح بهذا التفوق ذا نزعة استعبادية ، لا يعرف الحق الا من طريق القوة المادية وحدها ، ولا يعترف للآخرين الضعفاء بحق الحياة فى وجود مشترك ، فانه عندئذ يكون متخلفا فى الجانب الحضارى الانسانى ، رغم تقدمه فى الجانب الآخر الصناعى وبالتالى ليست لديه صلاحية : أن يكون رائدا ومتبوعا فى الجانب الانسانى ، الذى هو ثمرة الوجدان ، والعمل الارادى ، وحسن الخلق والسلوك .

ولكن كذلك : اذا كانت بعض المجتمعات الحضارية حضارة صناعية تبيح ممارسة اللواط فى الوقت الحاضر ويتبنى القانون حماية هذا الشذوذ الجنسى بين شباب الجامعات فى نواديهم الجامعية (١) .. أو يبيح تبادل الزوجات (٢) بين الأزواج فى النوادى أو فى المساكن الخاصة .. أو ينهى عهد الزواج وتكوين الأسرة على النحو المتعارف ويستعيض عن الزوج بأزواج، وينسب الابن الى أمه بعد ما اختلطت الأنساب وضاعت بين الرجال العديدين : فان هذا البعض من المجتمعات الحضارية الصناعية يفقد الصلاحية فى المستوى الحضارى الانسانى ويجعله مساوقا للانسان البدائى فى الغابات ، الذى لا يعرف ستر عورته ، ولا تخير المرأة التى يعاشرها .

* والمسلمون فى حاضرهم يقلدون فى خطواتهم الحضارية أصحاب التفوق فى الحضارة المادية : العلمية والتيكنولوجية . يقلدونهم فى مصانعهم . ويقلدونهم فى أسلوب حياتهم . ويقلدونهم فى سلوكهم نحو ذواتهم ، ونحو الآخرين معهم فى مجتمعاتهم . أى أنهم يقلدونهم فى جانبى الحضارة : المادية الصناعية ، والانسانية السلوكية .

وتقليدهم للمتفوقين فى الحضارة الصناعية اذن هو تقليد فى تفكيرهم ، وفى علمهم التجريبى ، وفى وجدانهم ، وأخيرا فى عملهم الارادى وتصرفاتهم . ومعنى هذا التقليد المطلق لأصحاب التفوق الحضارى المادى : ان هؤلاء اذا كانوا مصلحيين ونفعيين أو « برجماتيين » .. واذا كانوا انتهازيين أو استغلاليين .. واذا كانوا استعماريين أو قراصنة : فان المصلحية ، والانتهازية ، والقرصنة لا ينكرها أولئكم الذين يقلدونهم تقليدا مطلقا ، لأن هذه الاتجاهات هى اتجاهات سلوكية تقوم على ايثار الذات ، والأنانية ، وعلى عدم رعاية حرمات الآخرين .

ومعنى هذا التقليد المطلق لأصحاب التفوق الحضارى المادى ، العلمى والصناعى ، من المسلمين : هو أن هؤلاء المسلمين اذا أفادهم التقليد فى التقدم الصناعى والعلمى لزيادة قدراتهم على اجتياز المصاعب والمشاق فى حياتهم ومعيشتهم ، فانه سيضرهم حتما : تقليدهم فى الجانب السلوكى

لأصحاب هذا التقسيم لأن المسلمين فى حاضرهم يغلب عليهم الميل الأنانى بحكم الضعف والفاقة ونفوذ ولاءاتهم العديدة المصادر — وهو ميل غير اسلامى أو هو ضد الاسلام — فى روابط بعضهم مع بعض . وهم فى نهضتهم وفى بعثهم للحياة الكريمة من جديد فى حاجة الى روح المشاركة والجماعة بينهم ، كي تكون لهم قدرة يدفعون بها التخلف فى الجانب الحضارى المادى ذاته . فاذا بقى الميل الأنانى مسيطرا بينهم بجانب ضعف المستوى الحضارى الصناعى والعلمى لديهم فسيظلون ضعفاء .. ويظلون متخلفين فى الحضارة بمفهومها العلمى ، والانسانى .

* والمسلمون لم يكونوا بدائيين عندما كونوا مجتمعهم الانسانى . وانما كانوا أصحاب حضارة انسانية ، ثم أصبحوا — بعد حين — بالاضافة الى ذلك : أصحاب حضارة فكرية ، وعلمية ، وان لم يصبحوا بعد فيما مضى أصحاب حضارة تيكنولوجية بالمفهوم المعاصر .

كانوا أصحاب حضارة انسانية . لأن تكوين المجتمع الاسلامى ، ونقل أفراده عن طريق الدعوة الى الاسلام : من المجتمع الجاهلى ، وهو المجتمع المادى الأنانى .. الى مجتمع انسانى صاحب روابط انسانية ، وصاحب مشاركة جماعية : هو فى ذاته تحول حضارى وتحرك نحو الجانب الحضارى الانسانى . فدعوة الاسلام هى دعوة عن التخلى عن الأنانية ومظاهرها المختلفة التى تقوم على أساس منها : المجتمع المادى الأنانى أو الجاهلى .. هى دعوة فى الوقت نفسه الى قيام الروابط الانسانية على أساس من القيم الانسانية العليا وحدها . وهى تلك القيم التى تكون المستوى الفاضل للانسانية ، التى من بينها التعاطف ، والتواد ، والتعاون ، والتى من أجلها كان الميل الاجتماعى لدى الانسان فى طبيعته ، ولتحقيقها كان المجتمع الانسانى فى وجوده .

فالمجتمع الانسانى ليس مجتمع عدد : فى كثرة أو قلة . وانما هو مجتمع قيم انسانية يترابط الأفراد فيه على أساس منها . ومن اجل هذا الهدف فى حياة الانسان اختلف الانسان عن الحيوان ، والنبات ، مع أن هناك جامعا مشتركا بين الثلاثة ، وهو النمو الكمى والمادى .

والقرآن يشير الى هذا الجامع المشترك فى بعض آياته . فيقول تعالى : ((**فاطر السموات والأرض ، جعل لكم من انفسكم أزواجا ، ومن الأنعام أزواجا ، يذرؤكم فيه**)) (أى يكثركم وينميكم) ((الشورى — ١١)) .. فيجعل هدف الزوجية من الذكورة والأنوثة فى خلق الانسان والحيوان هو الكثرة والنمو المادى . ويقول أيضا : ((**سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ، ومن أنفسهم ، ومما لا يعلمون**)) (يس — ٣٦) .. فيشير الى عامل الكثرة والنمو المشترك بين النبات ، والانسان ، وما لا يعلمه الانسان مما يتكاثر فى ملكوته سبحانه وتعالى .

ثم يفرد القرآن : الانسان بهدف آخر وراء النمو والتكاثر ، واسمى منه . وهو هدف المجتمع الانسانى من تحقيق القيم العليا فى روابط الأفراد بين بعضهم بعضا . فيقول جلت قدرته : ((**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**)) (الروم — ٢١) .. فيحدد هذا الهدف الآخر بأنه السكنى والاطمئنان

يتفكرون)) الروم — ٢١) .. فيحدد هذا الهدف الآخر بأنه السكنى والاطمئنان

والمودة ، والرحمة ، فى الملاقات بين الأفراد . وهذه القيم العليا الثلاث تلتقى عندها جميع القيم الأخرى . فهى المصب الذى تصب فيه كل قيمة عليا انسانية . فالتعاون ، والتضامن ، والكرامة البشرية ، والحرية الانسانية ، والاخوة .. وغيرها اذا تحققت تحقق الاطمئنان ، وتحققت المودة ، وتحققت الرحمة حتما بين الأفراد .

والقرآن يفرد هذا الهدف الانسانى للمجتمع الانسانى ، بعد ان افرد أيضا بتعبير خاص الغاية المشتركة فى خلق الانسان ، بينه وبين الحيوان ، والنبات ، وهى غاية التكاثر والنمو ، فى قوله : « **والله جعل لكم من انفسكم ازواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة** » (النحل ٧٢) . .حتى لا تلتبس احدى الغايتين بالأخرى ، وحتى اذا ما حقق الانسان غاية النمو والتكاثر وحدها ، دون الغاية الأخرى : يبقى الانسان فى الدائرة المشتركة بينه وبين الحيوان والنبات ــ وحدها . وعندئذ لا يتميز عنهما بميزته الانسانية ، وهى ميزة اجتماعية ، أى ميزة تكوين المجتمع وتحقيق أهدافه .

فتكوين المجتمع الاسلامى القائم على توجيه القرآن هو تكوين تصحبه ظواهر الحضارة فى جانبها الانسانى . والجاهليون أو الماديون الذين انتقلوا الى المجتمع الاسلامى يومذاك ، استجابة للدعوة الاسلامية ، انتقلوا اليه مؤمنين بهدفه . وهو تحقيق القيم الانسانية فى علاقة بعضهم ببعض . وهى قيم حضارية ، تمثل الجانب الحضارى الانسانى .

فدعوة الاسلام هى دعوة الى تهذيب الوجدان فى الانسان وجعله فى خدمة التعاطف ، والتواد ، والتعاون ، والتماسك . ودعوة الى تنمية العمل الارادى وجعله فى خدمة السلوك السوى ، والسلوك الانسانى الكريم ؛ بعيدا عن الاغراء بالمتع المادية والوقوع تحت ما يشتهى منها .

ان المجتمع المادى يكون مجتمعا ذا طابع أسرى ، أو قبلى ، او عنصرى ، لأن الرباط بين افراده آنئذ هو رباط مادى ينبثق من الأسرة ، او القبيلة ، او العنصر والعرق . والمجتمع الانسانى هو ما يسمو الترابط فيه الى مستوى القيم الانسانية وحدها . والقرآن يمتن على المؤمنين به فى قوله تعالى : « **ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن الا وانتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا ، واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها** » (آل عمران ١٠١ ــ١٠٣) : يمتن عليهم بأنه نقلهم بايمانهم بالله وحده وبهدايته فى كتابه من دائرة القبيلة التى كانت مثارا للفرقة والخصومة ــ وهى دائرة مادية ــ الى محيط الانسانية وقيمها ، وهو محيط يشمل الناس جميعا . وبذلك تبتعد الفرقة فيه ، كما تبتعد الخصومة ، ومحيط الانسانية محيط غير مادى . لأنه فوق الروابط التى تقوم على أساسها التكتلات المحدودة بالمكان ، أو العنصر . ومن هنا كانت الدعوة الاسلامية دعوة الى الانسانية ، فوق الروابط المادية .

والمجتمع الذى يدعو اليه الاسلام هو مجتمع انسانى يقوم اذن على الروابط الانسانية وحدها . والروابط الانسانية وما يحققها : جانب حضارى للانسان ، يقابل الجانب الآخر المادى له ، وهو الجانب العلمى والصناعى .

وهذا الجانب الحضارى الانسانى أوصل المسلمين فيما بعد الى ان يكونوا أصحاب حضارة علمية وفكرية يوم نقدوا الفكر الاغريقى فى وثنيته ، فى الوقت الذى أضافوا فيه الى معارف الاغريق الطبيعية والرياضية ، ما جعل من الجانبين — الاغريقى ، والاسلامى — مصدرا للبعث والنهضة العلمية فى أوربا ، تلك النهضة التى أتت بهذا التقدم الصناعى والعلمى المتفوق : للمجتمعات الغربية المتطورة فى حاضر المسلمين اليوم .

* ومسلمو اليوم انفكوا عن الارتباط بهدف المجتمع الاسلامى ، فى دائرة التعاون ، والتضامن ، والتآخى . وانحدروا الى خصيصية المجتمع المادى ، أو المجتمع الجاهلى . وهى خصيصية الأنانية والحركة فى دائرة الذات وحدها وآثروا الترابط على أساس المنفعة المتبادلة .. أو أساس العرق والعنصرية .. أو أساس نظام الحكم الدخيل المشترك .. أو أساس وحدة التبعية للأجنبى عنهم . وبذلك يعيشون فى تخلف فى الجانب الحضارى الانسانى ، كما تعيش الآن لفترة ما : تلك المجتمعات المادية المتطورة تطورا صناعيا فى دائرة الذات ، بعيدة عن المستوى الانسانى الحضارى الذى يتم على أساس من القيم الانسانية العليا .

واذا كان تخلف المسلمين فى الجانب الحضارى المادى أو الجانب العلمى والتيكنولوجى يمكن أن يتجاوزوه بتقليدهم للمجتمعات الصناعية العلمية ، ونقلهم من تجاربها ، ومن منهاجها وسبلها فى البحث والتطبيق : فتخلفهم فى الجانب الحضارى الانسانى لا ينفعهم فى تخطيه : اتباع مبدأ الفصل بين الدين والدولة ، كما ينصح المجددون بينهم .. ولا استيراد نظام مادى يقوم على أساسه الحكم ، كما يروجه فيهم بعض المشتغلين بالسياسة . كما لا يعوض التخلف فى هذا الجانب لديهم : جدهم — لوجدوا — فى نقل الحضارة الصناعية العلمية ، والتوسع فى هذا النقل الى أبعد حد . لأن الصناعة اذا كانت ركنا من أركان الحضارة ، فمستوى الانسان هو الركن الآخر أو الأول فيها . وطالما لا يكون هو متحضرا فى مستواه الانسانى فلا ضمان لبقاء حضارته الصناعية والعلمية . وبقاء المجتمعات الصناعية العلمية المعاصرة الآن هو بقاء مؤقت ، بعد ما انحدرت الى المادية وسيطرت مظاهر الجاهلية فى المستوى الانسانى على علاقات بعضها ببعض ، وعلى الروابط بين الأفراد فيها .

وبعد حين — طال الزمن أو قصر — ستصطدم هذه المجتمعات المعاصرة بعضها ببعض . لأن المنافع المادية ستفرق حتما بينها . كما اصطدمت فى الحربين العالميتين : الأولى ، والثانية . وقد كان التنازع على المواد الأولية أو الحصول على قسط منها هو السبب الحقيقى الذى أدى اليهما . وسياسة : « الوفاق » فى الوقت الراهن هى سياسة مصطنعة ، وهى سياسة مؤقتة كذلك .. هى أشبه بهدنة للتمكن من الاستعداد للحرب الثالثة القادمة . وهى حرب لا مفر منها : اليوم .. أو غدا .

* والمسلمون فى مجتمعاتهم المعاصرة اذا ارادوا حقا اجتياز التخلف الحضارى : الصناعى العلمى ، والانسانى ، معا : يجب أن يسلكوا نفس التجربة التى خططت لها الدعوة الاسلامية . اى يجب أن ينتقلوا من الوضع الجاهلى أو الوضع المادى الأنانى .. الى الوضع الانسانى . يجب أن تقوم

الروابط بينهم على أساس من الأخوة فى الايمان بالله وحده .. وان يبتعدوا عن الانحراف فى استغلال المال وبالأخص عن الربا .. وأن يجعلوا ملكيـــة المال الخاصة سبيلا الى المنفعة العامة ، ينتفع به المالك وغير المالك له من أصحاب الحاجة على السواء ، دون أن يقصروا منفعته على المالك وحده فيمعن فى الترف ، بينما تأخذ الحاجة برقاب غير المالكين له .. وأن يتجنبوا الجرائم الاجتماعية ، وهى جرائم الاعتداء على الأعراض ، والأموال ، والنفوس .. وأن يوفروا الكرامة البشرية والاعتبار البشرى للضعفاء بينهم .. الى غير ذلك مما تخطه الدعوة الاسلامية فى منهج تطوير المجتمع (٣) .

فالمسلمون المعاصرون فى حاجة الى نقل أنفسهم من وضع الجاهليين الأنانيين .. الى وضع الانسانيين الـــــذين يستهدفون تحقيق القيم العليا الانسانية فى سلوكهم ، ومعاملاتهم ، ومواقفهم ، وفى ترابطهم : قبل نقلهم المصانع والتجارب العلمية الطبيعية ، أو معها على الأقل ، حتى يمكنهم أن يسخروا طاقات المصانع ونتائج التجارب العلمية فى سبيل قوتهم وبقائهم .. وحتى يمكنهم بالتالى . أن يضيفوا الى الصناعة والتجارب العلمية جديدا اليها اذا استوعبوها ، كما صنع أسلافهم من قبل ، يوم أن أضافوا الى الفكر الاغريقى : فكرا اسلاميا جديدا ، أعطاه الصلاحية لأن يكون مصدر النهضة الأوربية الحديثة ، ثم المعاصرة .

ولعل التحرك الاسلامى الحاضر ، نحو تأسيس بنك اســـــلامى .. ومشروعات للتنمية فى البلاد الاسلامية .. ونحو مؤتمر لوزراء الاقتصاد فى هذه البلاد .. ونحو مؤتمر قمة اسلامى لبعث التضامن الاسلامى كجزء فى السياسة الاسلامية المعاصرة : يكون تعبيرا عن الرغبة الأكيدة نحو الانتقال الى الوضع الاسلامى ، كما تنشده دعوة المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام.

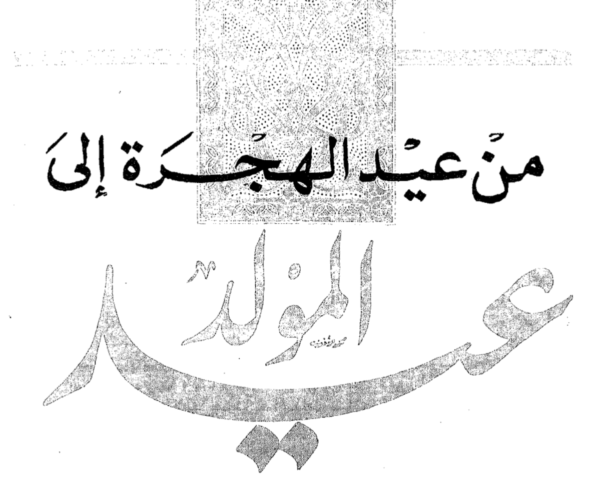
ولعل ذكرى ميلاد هذا الرسول الكريم صاحب الاعجــــاز بأميته ، وبموضوعية كتابه : تثير من عام الى عام وعيا أقوى نحو خروج المسلمين من تخلفهم الحاضر الى المستوى الحضارى الانسانى ، فالمستوى الصناعى العلمى فالحياة الانسانية الكريمة التى تستمر فيها الآلة والعلم لخدمة الانسان ، وليس الانسان للآلة وللتجارب العلمية .

---

(١) حكم القاضى الاتحادى Huge Bownes بولاية New Hamp Chire من الولايات الامريكية فى القضية التى رفعتها منظمة طلاب المتعة ضد الجامعة هناك بان مجموعة الطـلاب التى تمارس متعة اللواط لها الحقوق الكاملة فى ممارسة هذه المتعة فى منطقة الجامعة ، طبقا للتعديل الاول الرابع عشر . ونشر هذا الحكم فى الصفحة الثالثة فى عدد ٢٨/٣٠٧ من صحيفة Herald Tribune. بتاريخ ١٨ يناير سنة ١٩٧٤ .

(٢) كما هو شائع الآن فى المجتمعات الغربية المادية .

(٣) كتاب منهج القرآن فى تطوير المجتمع — وهو من مؤلفاتنا ، طبع دار الفكر ببيروت — يحاول توضيح نقل المجتمع المادى الى مجتمع اسلامى أو انسانى وتحديد المراحل التى تبتدىء بالتنديد بالظواهر المادية فى المجتمع المادى .. حتى مرحلة الامر بما يحقق المستوى الانسانى للفرد والمجتمع .



من عيد الهجرة إلى عيد المولد

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

يوم الخميس ١ محرم عام ١٣٩٤ كان يوما ثقيلا ينوء بحمل تاريخ كبير من أمجاد هذه الأمة .

يوم يحمل ينبوع وجودها ، وسر أمجادها ، ومبعث عزتها ، وروح وحدتها ! ..

كان يوما ارتسم على شمسه الباب العظيم الذي دخلت منه هذه الأمة الى التاريخ ثم تبوأت عرشه ، وقد كانت قبل ذلك ملقاة على هامشه ، شاردة وراء سوره ! .. ذلك لأنه كان يوم الهجرة ! ..

فكيف استقبله المسلمون عندنا ؟ .. وكيف احتفلوا به ، وكيف أكرموا مقدمه ؟

لا شيء .. لقد اقبل اليوم ومر كما يمر أي آخر دون أن يأبه به أحد . ولقد طلعت شمسه ، ثم ارتفعت ، ثم استوت في قبة السماء ، ثم دلفت الى مغربها وغابت فيه ، وليس في الناس من يحفل بها ، أو يلتفت الى عظيم ما تحمله من تاريخ ، أو يستهدي بشعاعها الى غابر مجد لهذه الأمة سجدت له الدنيا كلها ذات يوم !! ..

وهكذا دخل اليوم الاول من عام هجري جديد ، دخول اليتيم الى دار لا عشيرة له فيها ولا أهل . ولكنه هنا يتيم بين أهله ، وغريب بين قومه وعشيرته .

وقبل ذلك بشهر أو أقل ، دخلت

احتراس الكنائس واحتفالاتها بيسوت المسلمين كلهم ، وسمموا ذلك كلسه طوعا أو كرها ! .. وازينت الاسواق وزخرفت الحوانيت والمحال التجارية بالاضـــاءات الملونة واشجـــار (الكريسمس) وأغرقت واجهاتهـا بالقطن الذي صيغت منــه عبارات ، وشكلت به شعارات ، تماما كما هـو الشأن في اى سوق من أســـواق أوروبا ! .. وتجلت هذه الصـورة ذاتها لا فى الأندية والملاهي العامـة فقط ، بل تجاوزتها الى داخل كثيـر من البيوتات الاسلامية العريقة ! .. حيث احتفلت الأسر وتجمع أفرادها — على الطريقة الأوروبية ذاتها — فى سهر صاخب الى مطلع الفجر ..

كل ذلك ، احتفالا بقدوم عـــام ميلادي جديد ! ..

ويأتى بعد ذلك يوم الهجرة ، بكـل ما يحمله من ذكريات ، وبكل ما سجل فيه من تاريخ وعز ، فلا يرتفع لــه شعار ، ولا تبتهج به دار ، ولا تحس به في سوق ، ولا تسمع عنه فـــى اذاعة أو نحوها !! ..

الا يا حسرتا على الأمة التى لـم يكن يعرف عـز الارض الا بهـــا ، فأصبحت وذل الارض لا يعـرف الا بها . امة لا تقاسى الهوان ولكـــن تتمشقه ، ولا تعانى من الذل بـــل تستريح اليه ، ولا تبتلى بالضيم وانما ترحب به ! ..

يا هؤلاء الناس ! .. ما الـــذى نفعكم مما يفعله المستعمرون فـــى افتتاحات أعوامهم الميلادية فتقلدوهم فى ذلك أتم تقليـد وتسـبقوهم فى الابتهاج بها والصخب من حولهـا ، وصبغ بيوتكم واذاعاتكم بشعاراتهـا وايحائها ؟ .. وما الذى ضركم مـن تاريخكم ورأس عامكم الهجـرى — وانما هو عنوان وجودكم ، ومسرح أمجادكم ، ومنفـــذ سلطانكم — فتعرضوا عنه هذا الاعراض وتنسوه هذا النسيان ؟

أفمن الحتم عليكم — وقد فرغتـم انفسكم لوظيفة التقليد — أن لا تعرفوا لعامكم الهجرى معناه وأن لا تـؤدوه حقه ، الا بعد أن يسبقكم الى ذلـك أولئك الأسياد ، فيحتفلوا به لكـم ويؤدوا حقوقه عنكم ، فتفعلوا مثلـه بدوركم تقليدا ، وتنهجوا نهجهـم محاكاة واتباعا ؟ ..

أم هل من الحتم اذا قام الخطبـاء فى مساجدهم يذكرون بهذا اليـــوم وخطورته وينبهون الناس والمسؤولين الى حقوق هذا اليوم والقيام بواجباته أن يظهر من إعراض الناس عنهم ما يصبح تكذيبا لهذا الحق ، وعقوقـا لهذا اليوم ، وكفرانا لفضله وجميـل اياديه ؟!

يا هؤلاء الناس ! .. من انتم ، بل ما انتم لولا الهجرة ؟!

اى اسم كان يذكر لكم فى العالم ، أم اى وطن كان يحويكم، أم اى أرض كانت تقلكم أم اى حضارة كانت تنتسب اليكم ، لو لم تكن الهجرة ؟! ..

هل كنتم تعرفون اسم الشآم التى تفخرون بأمجادها ، أو العراق التـى تتباهون بحضارتها أو مصر التـى تعتزون بتراثها ، بل هل كانت لكـم فلسطين تذودون عنها ، أو ثـروة تخيفون العالم بسلاحها لو لـم يبعث فيكم هذا النبى الأمى القرشى ، ولو لم ينفذ أمر ربه فيهاجـر الأرض فى سبيل المبدأ ، ويترك الوطن فى سبيل العقيدة ، ولو لم يجعل الله له مـن أرض هجرته (المدينة) منطلقا الـى شرق العالم وغربـــه وشمالـــه وجنوبه ؟! ..

ماذا تقولون غدا لعلام الغيوب ، اذا اخذكم بجريرة هذا النكران ، ثـم

أخذكم بجريرة تقليد لا فائدة فيه واتباع لا حكمة من ورائها ؟ ..
أولادكم يا مسلمون .. يستيقظون من طفولتهم الصغرى على الطنين والرنين اللذين تعج بهما ليلة رأس السنة الميلادية ، يرتضعون منكم لبان عاداتها وتقاليدها ، وتفيض آذانهم بأحاديث المعلقين من أفراد الأسرة وغيرهم على نهاية العام الماضي .. وبداية العام الجديد ، والتقاليع المستوردة لتوديع ذاك واستقبال هذا ! .. حتى اذا بلغ الطفل أشده استحكمت الصورة في أغوار نفسه وانصبغ بها عقلا وطبعا ووجدانا ، وتهيأ له — مما غذي به — أن أيام السنة ان هي الا دائرة مغلقة متماسكة ، لا ينتهي ذيلها الا عند رأسها الوحيد : أول كانون الثاني حيث رأس السنة الميلادية ! ..
أما الهجرة والحديث عنها ، فكلام كالطيف كان يردده الاجداد .. وأما مكانها من دائرة العام وأيامه ، فقد عفى عليه الصدأ والقدم ، ولم يبق منه الا رمز كالطلل ، وأشبه ما يكون بشارة على قبر مهجور ربما ذكر بعض العابرين بقراءة الفاتحة ! ..
أفيسعدكم يا مسلمون أن تربوا أولادكم على هذا النهج ؟ ..
أفلا يؤرق لكم بالا ، أن تقبلوا الى الله غدا تحملون أوزار هذه التربية على ظهوركم عذابا من الله ونكالا ؟ ..

● ● ●

اكتب هذا الكلام ، وان ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلوح لي من بعيد ، ولعل كلامي هذا لن ينشر الا والمسلمون في أنحاء عالمهم الاسلامي يستقبلونها ، وينصرفون الى الاحتفاء بها والاحتفال لها .
ولكني اعتقد أن المسلمين مهما فعلوا في استقبالهم لهذه الذكرى ، فان جميع ما يفعلونه لن يقع موقع القبول من صاحب الذكرى محمد عليه الصلاة والسلام .
ان الأمة التي تصدق في احتفائها بمولد نبيها محمد صلى الله عليه وسلم ، لا تذهب هذا المذهب العجيب في احتفالاتها التقليدية برأس السنة الميلادية . وقد علمت جيدا أنها لا تسترضي بذلك قلب عيسى عليه الصلاة والسلام ، وانما تسترضي به نظرة أجنبية الى هذه الأمة !.. نظرة ترمي بشرر من الحقد على دينها وغابر عزها وأمجادها ! .. نظرة لا تقوم الدنيا الا من خلال الأحقرين : متعة الفرج ومتعة البطن ! ..
فتعالوا نكن صادقين — يا مسلمون — في احتفالنا بذكرى مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذه المرة . ولنفسر صدقنا هذا بسلوك يمسح عنا ماضي آثامنا ويرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنا .
ان عواطفنا الاسلامية — ولله الحمد — قد غدت مشبوبة وناضجة وما رأيتها في عهد من العهود أنضج منها اليوم .
ان كلا من ظروف الحرب والسلم ، وموقف الدول الأجنبية — صديقة وعدوة — منا ، وعبر الحياة التي نراها من حولنا والمآسي التي لاحقتنا يوم ابتعدنا عن حمى اسلامنا — كل ذلك قد أورثنا يقينا لا يتزعزع بأن الاسلام من حياتنا كالروح من الجسد وكالماء البارد من الكبد الحرى .. وبأن مشكلاتنا على اختلافها — لا يمحقها الا الاسلام عقيدة أولا ونظاما وأخلاقا ثانيا .
وقد ولى العصر الذي كان يتجمل فيه بعض الناس بالالحاد ، ويجاهر

بالفسوق والكفران . انها اليــــوم (موضة) قديمة ، وتقليعة بائدة .

ان ملاحدة الأمس ، يتنافسون فى عرض عظمة الاسلام اليوم ! ..

وان الدنيا كلها قد علمــت ان الالحاد ليس الا ظاهرة مرضيــة ، تتسلل الى الفكر بواسطة جرثومــة من أهواء النفس ، أو عقــدها ، أو عصبيتها ، أو ردود فعلها !.. وليس بعد الاسلام من ملجأ لأى فكــر حر ، بعد أن تخلص من وباء الالحاد .

واذا فمـــا جمودكم اليــــوم يا مسلمون ؟ .. يا مسلمون : علماء ومثقفين ومدرسين وعمالا وموظفين ؟

كيف تستقبلون مولد نبيكم محمــد صلى الله عليه وسلم ، من سجن هذا الجمود ، وقد علمتم أن ميراثه الوحيد الذى وضعه فى اعناقكم انما هـــو النهوض بأعباء الدعوة الى الله ؟ ..

أو لا تزالون تعيشون فى تلافيف تلك الضلالة التى تزعم على السنــة كثير من الجهال بأن للاسلام (رجال دين) هم المسؤولون عن الدفاع عنه اذا هوجم ، وعن أحيائه اذا ذبح ، وعن اعادة تشييده اذا هــدم ، وان غيرهم ليسوا الا نظارة يتخـــذون أماكنهم أمام المسرح ؟!..

لقد آن لنا ، جميعا ، أن نستغفر الله من هذه الضلالة البشعة ، وان نقف خاضعين خاشعين أمام قول الله عز وجل :

«ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقـــال اننى مـــن المسلمين » .

ثم امام قول رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

ثم أن نبسط إيمانا صادقة الى الله عز وجل نبايعه بها على أن نكون ــ وقد انتسبنا الى حزبــه ــ اعضــاء عاملين لا أشخاصا تقليديين .

انكم لتكثرون الكلام فى هذه الأيام عن الجهاد ، وتسمعون عنه كثيرا ، ولكن أعلموا أن أهم جهاد يستنفــر له الاسلام المسلمين جميعا ، فى هذا العصر ، أنما هو جهاد الدعوة الــى الاسلام والتعريف به ، بقلب متحرق صادق لله عز وجل .

ولست أعنى أن قتال العدو الذى يستحل أرضنا يأتى فى الدرجة الثانية من هذا الجهاد ، أو أنه ينبغــى أن يؤخر الى ما بعد قيام المسلمين بواجب الدعوة الــى الاســلام ، لا .. ليس هكذا . فان العدو الجاثم فى أرضنا صائل ومقاومة الصائل واجب مستقل بذاته ، يكلف به المسلمون بقطــع النظر عن الجهاد الذى نتحدث عنه . فاذا خرج العدو من ديارنا ، فـــان ملاحقته بعد ذلك بالدعوة الى الاسلام والقتال فى سبيلها ، هو الجهاد .

ان القاعدة العريضة الكبرى التى يجب أن ينطلق منها المسلمون جميعا، للجهاد فى سبيل الله اليوم ، انما هى جهاد الدعوة الى الاسلام على شتى المستويات وبكل الطرق والاساليــب ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولو نهض المسلمون اليوم، أواكثرهم او كثرة عظيمة فيهم ، بهذا الجهاد ، لا يبتغون الا وجه ربهم ، لا يسوقون أمامهم عصبية أو غرضا أو ضغينــة لفتح الله على أيديهم وبألسنتهم آلاف القلوب الموصدة ، ولرأيت للمسلمين مجتمعا اسلاميا سليما غير هـــذا الذى تراه اليوم .

ولكن آفة المسلمين احد بلاءين ، بل كلاهما معا ! ..

آفة المسلمين أنهم احد رجليــن : رجل يتقلب فى نعيم دنياه منصرفا عن الاسلام وشأنه ، لا يبالى بالمصيـــر

الذى ينتهى اليه . وآخر يدعو الى الله والاسلام بزعمه ، ولكن بسلاح من عصبيته وكبريائه ، وبسائق من حقد متمكن وراء صدره ! .. وقليل جدا فى المسلمين من ينهض بواجب الدعوه الى الله دون أن يخلط بذلك حظ نفسه ودافع عصبيته .

وما السر فى ان اكثر المنصرفين عن الاسلام لا يلتفتون الى دعوة الداعين اليه ولا يتأثرون بكلامهم ؟ ..

السر أن اكثر هؤلاء الدعاة قد اصبح مظهر الدين جزءا من شخصياتهم واصبحت مظاهر الاسلام من مقومات ذاتيتهم ، فتراهم يدافعون عن هذه المظاهر من حيث يدافعون عن شخصيتهم ومن حيث يذودون عن ذاتيتهم وكرامتهم . ويحس الآخرون بهذا ، فتستيقظ عوامل العصبية فى نفوسهم ، ويقوم من ذلك حاجز يحول دون وصول كلمة الحق صافية الى أفكارهم .

وانه لمنزلق خطير ما ينبغى أن يقع فيه المسلم اذ يدعو الى الاسلام ، وانما يترفع عن الانزلاق فيه بالتنبه الدائم الى حقيقتين عظيمتين :

الأولى : كراهية معصية العاصي لا كراهية شخصه ، فان كراهية الشخص من حيث ذاته حقد يأباه الاسلام وينهى عنه . وما ينهى الانسان عن فسوق أو عصيان او كفر الا شفقة على المتلبس به .

الثانية : أن لا يخلط الانسان بين دافع الانتصار لربه والانتصار لذاته ، وما أدق الفرق بينهما لمن لا يكون دائم الرقابة على نفسه .

رب رجل ذى مظهر دينى يقابله بعض الفاسقين بتصرف ساخر من الدين ، فيأخذه الهياج ويتملكه الغضب ، وربما بطش به وضربه .. وهو لو تأمل فيما قد دفعه الى ذلك لرأى أنه حب الانتصار لشخصه ، اذ كان فى تلك السخرية جرح لشخصيته الدينية .

وآية ذلك انه لو كان متجردا عن هذا المظهر ، لمر بذلك الفاسق غير مكترث به ولا ملتفت اليه ، ولما حرك العصيان أو السخرية لديه اى غيرة او هياج .

وانما يحبس الفاسق فى فسقه على الأغلب ــ انانية أو عصبية تستفحل بين جوانحه ، فلا يتأثر بتذكير ناصح ولا بتنبيه واعظ . والشىء الوحيد الذى يملك اذابة هذه العصبية والانانية فيه ، ان يشعر شعورا واضحا بتجرد الانسان الذى ينصحه ويذكره ، وأن يقتنع بأنه لا يستهدف من نصيحته استعلاء عليه ، او تغلبا ، او تقوية لعصبته أو عصبيته . وانه انما يكلمه من مستوى الحب له والشفقة عليه .

فان زاد الداعى الى ذلك ان راح يقابل الايذاء بالصفح ، والسخرية بالرضى ، واستدبر حظ نفسه والانتصار لذاته ، فان ذلك من شأنه ان يوقظ كوامن الانسانية عند الطرف الآخر ، ويحيى فى فكره موضوعية البحث والنظر .

وجل القائل فى محكم كتابه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن المنافقين الذين كانوا يستقبلون دعوة الاسلام بأهواء نفوسهم بدلا من افكار عقولهم ــ : ((**فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر**)) .

وانظر كيف طبق الرسول وصية ربه جل جلاله ، يوم بلغه قول رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول فى غزوة المريسيع عن الرسول والمهاجرين : قد نافرونا وكاثرونا فى دارنا ، والله ما اعدنا وجلابيب قريش ((يقصد المسلمين)) الا كما قالوا

سمن كلبك يأكلك ، أمـا والله لئـن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ! ..

وحسب بعض الصحابة أن النبى صلى الله عليه وسلم قاتله .. وقال له عمر رضى الله عنـه : الا أضرب عنقه يا رسول الله ؟ .. وجاء عبد الله بن عبدالله بن أبى بن سلول يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : بلغنى يا رسول الله انك تريد قتل أبى ، فان كنت لا بد فاعلا فمرنى أنا احمل اليك رأسه !..

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى أن يمسه بأذى وقال لابنه : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا .

لقد كان من آثار هذا الموقف من النبى عليه الصلاة والسلام ، أن انفض عن ابن سلول كثير من قومه وجماعته ، فكان اذا حدثهم بحديث عن المسلمين بادروه بالمعارضة والتعنيف ، ولقد قال عليه الصلاة والسلام لعمر رضى الله عنه بعد ذلك :

كيف ترى يا عمر ؟ .. اما والله لو قتلتهيوم قلت اقتله لأرعدت له آنف ، لو امرتها اليوم بقتله لقتلته ..

. . . . .

يا مسلمون .. لقد آن لنا أن نستيقظ الى حقيقة الدنيا التى من حولنا ، وأن يتعرف كل منا على هويته :

إننا عبيد أذلاء ، مهرت أعناقنا بختم العبودية لله عز وجل .

اننا جميعا موظفون .. ولكن فى ديوان الله عز وجل .

فلننهض جميعا بالوظيفة التى كلفنا بها سيدنا .. ولا يهمنكم رزق ولا مال فان سيدكم قد ضمن لكم ذلك كله ، ان انتم قمتم بمسؤولياتكم الوظيفية تجاهه : « **لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى** » .

ووظيفتنا نحن معشر العبيد لله ، النهوض بالدعوة الى دينه فى بيوتنا ومدارسنا وجامعاتنا ومعاملنا ووظائفنا واسواقنا ، وبين زملائنا وأصدقائنا ، لا نقيم محبة أو صداقة مع انسان الا على أساس الدعوة الى الله ، ولا نكره أو نبغض انسانا الا فى سبيل الله .

لا نحقد .. لأن الحقد دخان لنيران الانتقام الشخصى ، وشخصياتنا ذائبة لا وجود لها فى طريق الدعوة الى الله .

لا نتحاز لعصبية .. لأن العصبية مظهر لأنانية الجماعة ، ولا انانية فردية أو جماعية فى بوتقة العبودية المطلقة لله .

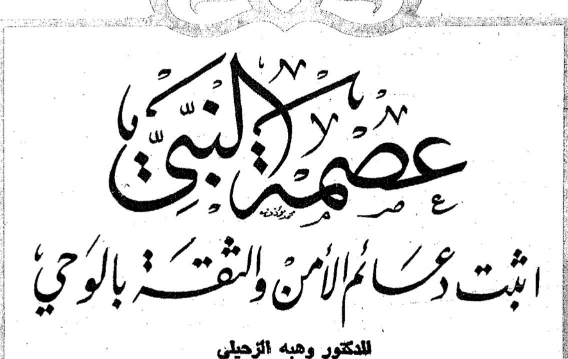
لا نطمع فى دنيا أو مصلحة .. فقد كفانا مالك الملك كله ، كل طمع فيمن دونه ..

فطلب سعينا كله فى الدنيا هو البحث عن الحقيقة .. الحقيقة الكبرى التى تندرج فى تضاعيفها حقائق الدنيا أجمع . فاذا اهتدينا اليها فان من حق الأسرة الانسانية كلها علينا أن نعرض لها سبيل هذه الحقيقة . وخيانة كبرى أن يهتدى احد الأخوين الى الطريق السليم ، فينحط فيه معرضا عن أخيه الذى أسلم نفسه لمتاهة توصله الى الهلاك .

هذه وظيفتنا جميعا .

فان نحن قمنا بها ، كان ذلك خير إحياء لذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك أقصر سبيل لنصر متكامل قريب ، ومجد صادق لا ينال منه عدو ، وقوة تخيف منكم الدنيا كلها .

يأتيكم ذلك كله واكثر .. من حيث لا تحتسبون .



للدكتور وهبه الزحيلي

لست عادة ممن يكتبون فى الموضوعات التقليدية القديمة ، ولا من الذين يرددون مكرور القول المعاد ، او محـاكاة الغير والنقل عنهم ، الا فيما يتعلق بالمبادىء والأصول الثابتة ، فهذه حق مشاع للجميع ، وتركة غالية الثمن نحتفظ بها فى صميم القلب والروح ، ومنطلق اساسى لـكل محاولة تجديد بمعناه الصحيح ، وليس بمعناه الفوضوى الذى يريد دعاته التخلص من كل قديم بغيا وعدوانا لاحقا وانصافا ، وانما هو المستند الى القديم النافع ، والمبدأ الاصيل الذى لا يتغير شان القرآن والسنة النبوية وما ضما بين جناحيهما من اصول القيم والفضائل التى حددت مقاصـد التشريع وابانت غاياته ومراميه العامة .

وعصمة الانبياء ، وان كان الكلام فيها قديما ، الا انها مبدأ متجسـد ومائل فى ذهن وعقيدة كل مؤمن بالرسالات الالهية صباح مسـاء ، ليل نهار . وقد حركتني دوافع معينة للكتابة في هذا الموضوع ، منها : ما نرى ونلمس في الاوساط الكتابية الصحفية والتأليفية ، وغير الكتابية مما يتردد على السنة الناس هوسا وغوغائية من رصف واسباغ اوصاف مغالى فيها اما لبعض الزعماء والقادة الذين ينتصرون فى معركة حربية او ثقافية ، او ينجحون فى وضع خطة سياسية او اجتماعية او اقتصادية ، واما لبعض العلماء الذين يبتكرون اختراعا هاما ، فيجعلهم عامة الناس اشبه بالاله

أو النبي المعصوم : « ان هي الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » .

وبما أن المؤمن بباعث ايمانه حريص على معرفة حقائق الاسماء والمسميات ، مسئول عن كل كلمة يتفوه بها ، فهو مطالب بمعرفة الفرق الواضح بين ما له صفة القداسة بمعناها الحق ، وبين ما هو عرضة للخطأ والانحراف ، وان أصاب أحيانا ، سواء أكان المصيب حاكما ذا سلطان قاهر ، أو عالما ذا باع واسع في ميدان العلوم .

أما صفة القداسة المطلقة فلا تكون الا للاله الواحد خالق الأكوان ، لا للآلهة المزعومة ، ويقترب من صفة القداسة نسبيا النبي أو الرسول المبلغ عن الاله وحيه وأحكامه وشرائعه . فضمانا لصحة التبليغ وامانة الوحي لا بد من توفر ما يعرف بالعصمة لكل نبي في تبليغ الوحي الالهي وما تقتضيه الرسالة ، وفيما يضمن له النجاح في أداء مهمته بتوفير السلامة والأمن والصون من أذى الناس .

فالعصمة اذا هي أوطد صمام أمان في وصول الشرع السماوي سليما لبني البشر ، وآمن وسيلة لتوفير الثقة والصحة والأمن من التبديل والتصديق بمضمون رسالة الانبياء عليهم السلام ، كاملة غير منقوصة .

ثم ان معجزة العصمة هي أول الاصول التي تساعد النبي أو الرسول في اظهار معجزاته المادية والمعنوية الخارقة لقانون العادة والقدرة المألوفة ، والدالة على صدق رسالته المؤيدة لادعائه النبوة من قبل الله تعالى .

ويجدر الكلام عن العصمة بمفهوميها السابقين : عصمة التبليغ ، والعصمة من الناس ، وذلك بتحديد معنى العصمة وأدلة ضرورتها ، ووقائع عصمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ايذاء الناس كنموذج للأنبياء . ويتخلل البحث عرضا لا قصدا تفنيد دعاوى المغالين بعصمة الأنبياء أو عصمة الائمة الحاكمين بعدهم .

ويمكن الافادة بحق مما كتبه علماؤنا الأوائل كشرح المواقف للعضد الايجي والشريف الجرجاني ، وأصول الدين للبغدادي ، والاربعين في أصول الدين ، وعصمة الأنبياء للامام الرازي ، وأعلام النبوة للماوردي ، ومنهاج السنة النبوية ، وشرح العقيدة الاصفهانية أو الواسطية لابن تيمية الحراني .

أما حقيقة عصمة الانبياء بالمعنى العقدي فهي الا يخلق الله فيهم ذنبا . وهي عند الحكماء الفلاسفة : ملكة تمنع عن الفجور ، وتحصل بالعلم بمثالب المعاصي ، ومناقب الطاعات ، وتتأكد بتتابع الوحي اليهم بالأوامر الداعية الى ما ينبغي ، والنواهي الزاجرة عما لا ينبغي . وعرفها الشيخ المفيد من علماء الشيعة الامامية بأنها الامتناع بالاختيار عن فعل الذنوب والقبائح عند اللطف الذي يحصل من الله تعالى في حقه ، وهو لطف يمتنع من يختص به

عن فعل المعصية ، ولا يمنعه على وجه القهر . اى انه لا يكون له حينئذ داع الى فعل المعصية ، وترك الطاعة ، مع القدرة عليهما .

وقصر ابن ابى الحديد فى شرح نهج البلاغة ــ خلافا لبقية الشيعة ــ العصمة على الانبياء من حيث نزول الوحى عليهم ، فراى أن العصـــمة مقتضية أربعة أشياء :

أولها : أن يكون لنفس الانسان ملكة مانعة من الفجور ، داعية الى العفة .

ثانيها : العلم بمثالب المعصية ومناقب الطاعة .

ثالثها : تأكيد ذلك العلم بالوحي والبيان من الله .

رابعها : أنه متى صدر عنه خطأ من باب النسيان والسهو لم يترك مهملا ، بل يعاقب وينبه ويضيق عليه العذر . وهذا الوضع الاخير مخالف لراى اغلبية الشيعة ، كما سنبين ، فمتى اجتمعت هذه الاوصاف الاربعة فى راى ابن ابى الحديد ، كان الشخص معصوما عن المعاصي .

وقد أجمع أهل الملل والشرائع كلها على وجوب توفر صفة عصــمة الانبياء عن تعمد الكذب او الخطأ فيما يبلغونه عن الله تعالى من شرائع واحكام واوامر ونواهي واخبار ، فلا يقع منهم تحريف او خيانة فى ذلك ، لا عمدا ، ولا سهوا ، حفاظا على حقيقة الشرائع الالهية .

وكذلك هم معصومون عن كل ما تقتضيه الرسالة من عدم الوقوع فى الكفر والبدعة ، وتعمد الخطأ فى الفتوى ، والامتناع فى افعالهم واحوالهم عن اقتراف المعاصى الكبائر ولو سهوا فى رأى الايجى ، أو تعمد الذنوب الصغائر فى راى بعض العلماء كالرازى ، وأجاز جمهور العلماء صـــدور الصغائر عنهم ولو عمدا ، الا الصغائر الخسة : وهى ما تلحق فاعلهـــا بالأراذل كسرقة حبة أو لقمة ، فانها لا تجوز منهم أصلا لا عمدا ولا سهوا .

وهذا كله بعد الوحى والاتصاف بالنبوة وزمانها . أما قبل اتصافهم بالنبوة فلا مانع من صدور معصية منهم ، لأنهم بشر عاديون ، كحادثة القتل التى ارتكبها موسى عليه السلام قبل أن يصير نبيا .

وأما ما ورد فى القرآن من أخطاء الأنبياء : فهو اما على سبيل النسيان كمعصية آدم فى الجنة قبل أن يصير له أمة : « فنسى ولم نجد له عزما » ، واما على سبيل ترك الأولى .

وبغض النظر عن اى خلاف جرى بين العلماء فى احتمال وقوع النبى فى معصية كبيرة سهوا أو صغيرة عمدا ، فان الامة قاطبة متفقة على أن الانبياء هم تحت مرصد دقيق للعناية الالهية ، وفى ظل مراقبة محكمة من الله حتى لا يستقر منهم الخطأ ، فلا يقرون على الخطأ . كما نقل ــ وهو حديث مكذوب ــ أنه القى على لسانه صلى الله عليه وسلم : « تلك الغرانيق العلى

وان شفاعتهن لترتجي » عقب قوله تعالى : ((**واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى**)) فقد نسخ الله ما القاه الشيطان ، واحكم آياته : ((**وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في أمنيته ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد**)) .

وغلا الشيعة الامامية لا الزيدية في شان العصمة ، فقالوا بثبوتها للأنبياء قبل نبوتهم ، وكذلك للأئمة الحاكمين قبل امامتهم ، بل في دور طفولتهم ، من الكبائر والصغائر كلها ، لا عمدا ولا سهوا ، ولا خطأ في التأويل ، بل إنهم مبرءون عنها قبل الوحي وبعد الوحي .

والذي يهمنا بصدد الاقتداء بالنبي واتباعه في قوله وفعله ان نؤكد قضية هامة : وهي اننا مطالبون باتباع ما يصدر عن النبي قصدا لا سهوا ، وقد وقع السهو والنسيان والخطأ فعلا من نبينا صلى الله عليه وسلم اثناء الصلاة بزيادة ركعة ، أو بصلاة ركعتين بدل الاربع ، من اجل ارشادنا وتعليمنا ، ولأن السهو والخطأ ليسا من الذنوب . روى مالك في الموطأ : « انما انسى أو انسى لأسن » واخرج الشيخان في صحيحيهما : « انما انا بشر أنسى كما تنسون ، فاذا نسيت فذكروني » وقد ذكره الصحابة ، وسجد عقب الانتهاء من صلاته سجدتي السهو .

واما التحريف والخيانة في نقل الموحى به ، فهو أبعد ما يكون عن الانبياء ، لانهم معصومون . وقد تكرر في مناسبات متعددة في القرآن تحديد مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ الوحي ، واتباع ما يوحى به اليه ، بل والتهديد بالعقاب الشديد فيما لو كذب فرضا ، أو غير وحرف جدلا ، فقال تعالى مثلا : « **ان عليك الا البلاغ** » ((**انما أنت منذر**)) ((**قل : انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد**)) ((**ان اتبع الا ما يوحى الى**)) ((**وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى**)) ((**ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين**)) . وقد فصل القرآن المجيد في مطالب القرشيين المتعذرة بحكم العادة من الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقال سبحانه عارضا قصة هؤلاء المعاندين : ((**وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . او تكون لك جنة من نخيل وعنب ، فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تاتي بالله والملائكة قبيلا . او يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل : سبحان ربي ، هل كنت الا بشرا رسولا**)) .

وتقررت بذلك حقيقة كبرى : وهي أن الرسول بشر كسائر البشر

فيما لم يتصل بالوحى ، ولا يقدر احد من البشر على الاتيان بشيء من الوحي من عنده ، قال تعالى مبينا هذه الحقيقة : ((**قل : ما كنت بدعا من الرسل**)) ((**وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى**)) ((**تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر ان العاقبة للمتقين**)) .

أما البراهين المثبتة لعصمة الانبياء ، فهى كثيرة ، دل عليها المنطق والعقل ، وأيدها القرآن الكريم ، وقد أوردها الامام الرازى ، ومنها : ان الانبياء قدوة للناس ووجب اتباعهم فى أقوالهم وأفعالهم بالاجماع لقوله تعالى فى حق رسوله صلى الله عليه وسلم : ((**قل : ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله**)) فلو وقع منهم ما يخالف مقتضى الرسالة من المعاصى حرم اتباعهم فى ذلك وهو مخالف لعموم الأمر بالاتباع . وأدى ذلك أيضا الى رد شهادتهم اذ لا شهادة لفاسق بالاجماع لقوله تعالى : ((**ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**)) وكذلك يجب تعنيفهم وزجرهم للأمر العام بالمعروف والنهى عن المنكر ، وفى زجرهم ايذاء لهم ، وايذاؤهم حرام اجماعا ، ولقوله تعالى : ((**ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة**)) ، وكان عقابهم على الذنب مضاعفا ، لصيرورتهم اسوأ حالا من عصاة الأمة . ولا يستحقون حينئذ الائتمان على عهد الله لقوله سبحانه : ((**لا ينال عهدى الظالمين**)) وكانوا أيضا غير مخلصين ، علما بأن الشيطان لا يغوى المخلصين : ((**لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين**)) ، وصاروا بالذنب من حزب الشيطان وحزب الشيطان هم الخاسرون ، وما استحقوا الوصف بالمبادرة الى الخيرات من فعل وترك ، مع أن الله قال فى ابراهيم واسحق ويعقوب والانبياء : ((**انهم كانوا يسارعون فى الخيرات**)) وقال سبحانه : ((**انهم عندنا لمن المصطفين الأخيار**)) ، واصبحوا بترك الطاعة وفعل المعصية داخلين فى قوله تعالى : ((**لم تقولون ما لا تفعلون**)) وقوله عز وجل : ((**أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم**)) ، ولما ثبت أنهم افضل من الملائكة ، ولما استحقوا الوصف بكونهم ائمة يقتدى بهم ، كما قال تعالى فى حق ابراهيم : ((**انى جاعلك للناس اماما**)) .

واستدل المعتزلة بناء على منهجهم فى الاستدلال العقلى لاثبات رأيهم فى عصمة الانبياء من اقتراف الذنوب الكبائر ولو سهوا ، والصغائر ولو عمدا وان تاب عنها : بأن ذلك يوجب النفرة عنهم ، وعدم الانقياد لهم ، مما يؤدى الى اهدار المصلحة المترتبة على البعثة ، وافساد الخلائق ، وترك استصلاحهم . وهو أمر مخالف لمقتضى العقل والحكمة . ولذا يمتنع على الانبياء أيضا كل ما ينفر مطلقا حتى لو لم يكن من افعالهم ، وانما من أفعال غيرهم كعهر الأمهات أى كونها زانيات ، وفجر الآباء ودناءتهم واسترذالهم واقترافهم الصغائر الخسيسة .

وإذا كانت هذه هي العصمة ومشتملاتها وأدلة ثبوتها والغاية منهـا فلا يمكن أن تكون لغير نبى ، سواء أكان حاكما اماما أو عالما . اذ بها فقط نضمن سلامة وصول الوحي السـماوى الينا من غير تحريف ولا تأويل ، ولا نقص ولا زيادة ، فهى أمر ضرورى تفرضه طبيعة النبوة ، وتقتضيه الرسالة الالهية .

أما القول بعصمة الأئمة الحاكمين ، أو عصمة الارادة العامة للأمة ممثلة بالاجماع أحيانا ، فهو ذو وصف آخر يرتبط فى الحقيقة بامامة الناس وسياسة الدولة أكثر من ارتباطه بالنبوة ، وذلك من أجل اضفاء نوع من القداسة على السلطة الحاكمة ، أو تقرير سيادة الدولة فى مواجهة الرعية لتأمين اخضاع الفرد لدولته ، اذ ماذا يمكن لحاكم أو لأهل الحل والعقد أن يقرروا من أمور دستورية ذات صبغة الهية ؟ فالقول بعصمتهم من الوقوع فى الخطأ مقيد فى نطاق تطبيق الشريعة الالهية ، لا من أجل تشريع مبتدأ . ومن هنا نفى سيدنا على رضى الله عنه أن يكون مخصصا بشىء من النبى فيما عدا الفهم البشرى الذى يؤتيه الله لانسان فى كتاب الله ، فلم يصف سيدنا على نفسه بالعصمة ، بل ولم يتقبل مثل هذا الوصف الذى أطلقه عليه غيره فى عهد متأخر أو فى عهد جعفر الصادق رضى الله عنه . لذا لم يقل الزيدية بمبدأ عصمة الامام . ونحن لا نجد حاجة فى مناقشة حجج الامامية القائلين بذلك ، لأنهم أراحونا فقالوا بعدم وجود الامام المعصوم من زمان بعيد ، وأدلتهم وان قبلت من الناحية النظرية وفى النطاق السياسى ، لكنها تصطدم بالواقع ، فاذا كانت الامة بحاجة الى معصوم يحفظ لهـا الشرع ويقضى بالوقائع المتجددة ، فهذا مجرد تصور عقلى وتمن مجرد ، لا يلائم الواقع بعد انقطاع الوحى . ويفضل أن تثبت العصمة لمجموع الأمة ، لأن نقل الشرع بطريق التواتر خير من نقله من طريق الشخص الواحد ، ولقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تجتمع أمتى على ضلالة » أو « على خطأ » .

ويكفى فى الامام الحاكم عدالة ظاهرة بموافقة الشريعة ليتبع أمره وتخضع الرغبة لسلطانه ، كما أن القاضى والأمير والمجتهد يتبعون وهم ليسوا بمعصومين ، هذا فضلا عن أن القول بعصمة الحاكم وتقديسه ، أو القول بسيادة الدولة المطلقة أصبح لا يتفق مع مفاهيم الحيـاة الحديثة والأنظمة الديمقراطية ، بل ومبدأ الاسلام الذى يقضى بمسـئولية الحاكم

واخضاعه لرقابة الأمة ، فتطيعه اذا استقام ، وتحاكمه وتعزله ان انحرف وزاغ عن سنن الحق .

وأما العصمة بالمعنى الثانى المكملة لمعنى العصمة فى التبليغ عن الاله : وهو صيانة النبي عن أذى النــــاس ، فأمر ثابت لكل نبى بعد اداء رسالته ، لتتحقق الغاية المرجوة من ارساله : وهي اصلاح البشرية وتبليغ مضمون الرسالة السماوية لهداية الانسان . وأذكر هنا كأنموذج للأنبياء معجزات عصمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التى اظهرها الله تعالى له بعد ثبوت نبوته بمعجز القرآن واستغنائه عما سواه من البرهان ، ومن هذه المعجزات تكرر حدوث وقائع متعددة وفرت له الحصانة والصون والنجاة من أذى الأعداء ، تحقيقا لقوله تعــــالى : ((**والله يعصمك من النــــاس**)) ومن ذلك : نجاته صلى الله عليه وسلم من مؤامرة القتــل التى دبرها له مشركو قريش ليلة هجرته الى المدينة المنورة بصحبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه : « **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين**)) وحينما اكتشف سراقة بن مالك النبى وصاحبه فى الطريق الى الغار ساخت أقدام فرسه فى الارض الى ابطها ، فقال : « يا محمد ادع الله أن يطلقنى ، ولك على أن ارد من جاء بطلبك ، ولا أعين عليك ابدا » ثم أسلم وحسن اسلامه .

وقبل الهجرة أيضا حاول قتله عليه الصلاة والسلام نفر من عظماء قريش وهم معمر بن زيد من سادات بنى كنانة ، وكلدة بن أسد أبو الأشد ، وأبو لهب ، وعتبة بن ربيعة ، ثم ارتدوا على أعقابهم خاسئين ، وقال معمر لقريش حينما هم بقتله فى حجر ابراهيم : « ويحكم المغرور ممن غررتموه .. انى لما دنوت من محمد ، فأردت أن أهوى بسيفى اليه ، أهوى الى من عند رأسه شجاعان أقرعان ينفخان بالنيران ، وتلمع من أبصارهما ، فعدوت ، فما كنت لأعود فى شىء من مساءة محمد » ولما أراد كلدة قتله فى الطريق وهو ذاهب الى المسجد ، رجع السهم فى صدره . ولم يقدر أبو لهب من قتله رغم وقوف امرأته أم جميل على ظهره عليه الصلاة والسلام وهو ساجد . وقال عتبة ــ الذى حاول القتل بعد أن قرأ عليه الرسول أوائل سورة (فصلت) الى قوله تعالى (**مثل صاعقة عاد وثمود**) ــ مخاطبا قريشا : «ويحكم دعونى ، انه كلمنى بكلام لا أدرى منه شيئا ، ولقد رعدت على الرعدة ، حتى خفت على نفسى ، وقلت : الصاعقة قد أخذتنى » .

وبعد الهجرة أراد رجل اسمه (دعثور) قتل النبى حينما انفرد بنفسه فى غزوة ذى أمر عن أصحابه ، فسقط السيف من يده ، حينما استله ، قائلا

للرســـول : « من يمنعك مني » فأجابه : « الله » ، ثم اخذه النبي عليـــه السلام .

وفي موقعة حنين أراد شيبة بن عثمان بن أبي طلحة قتل الرســـول حينما رآه منفردا عن صحبه ، وقال : « اليوم أدرك ثاري ، وأقتل محمدا » ، لأن أباه قتل يوم أحد في جماعة اخوته وأعمامه . ثم خذله الله ، فقـــال : « فلما أردت قتله ، اقبل شيء حتى تغشى فؤادي ، فلم أطق ذلك ، فعلمت أنه ممنوع » .

وحينما اتفق عامر بن الطفيل وأربد بن قيس (أخو لبيد بن ربيعـــة الشاعر لأمه) على أن يشغل الاول النبي ، ويضربه الثاني بالسيف ، بدت أعظم مظاهر الخيبة لهما ، اذ أمسك الله يد (أربد) الذى سل سيفه قريبا من ذراع ، فلم يستطع أن يسله ولا أن يغمده . ثم دعا النبي عليهما ، فمات عامر بالطاعون ، وأرسل الله على أربد وعلى جماله صاعقة احرقتهم .

قال الماوردى في أعلام النبوة عقب هذه الحوادث وأمثالها : « فان قيل : فهذه أخبار آحاد لا يقطع بمثلها ؟ قيل : العداوة ظاهرة ، والطلب معلوم ، والسلامة موجودة ، فلم تدفع جملة الاخبار ، ولم يصح في جميعها توهم الكذب ، وان جاز في آحادها توهم الكذب ، كالمحكي من سخاء حاتم ، وشجاعة عنترة » أى أن ثبات عصمة النبي صلى الله عليه وسلم واضح من طريق التواتر المعنوى : وهو ما اختلفت فيه الفاظ النقل ، واتحد فيه مضمون الخبر .

هذه هي عصمة النبيين التي كانت أولى الوسائل للحفاظ على آخر الكتب السماوية وخاتمة الوحي الالهي منذ بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والى يوم القيامة صحيحا غير محرف سليما غير مبدل ، الا وهو القرآن المجيد هداية العالمين ونور السماء والارض : « **وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين** » « **وما هو بقول شيطان رجيم . فاين تذهبون . ان هو ذكر للعالمين** » .



من الرباط الى لاهــور :

بإحراق إسرائيل للمسجد الاقصى فى اغسطس ١٩٦٩ ، بدأ المسلمون الذين يشكلون — فى حقيقتهم — أمة مشتركة العقيدة والتاريخ والأهداف والمصير ، يتأكدون — بوضوح — من حقيقــة الغارة اليهودية على فلسطين .

إنها تحد جديد موجه الى الإسلام ، بدأ بإحراق المسجد الأقصى ، لكنه لن ينتهى — اذا ظل المسلمون على حالهم من التفكك والتخلف — إلا بإحراق أســتار الكعبة ، وهدم مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، واغتصاب أرض الجزيرة ، التى عاش فيها ذات يوم يهــود خيبر ، وبنو النضــير ، وبنو قينقــاع ، وبنو قريظــة !!.

هكذا يخطط اليهود ، وتلك اهدافهــم التى يعلنونها ، فى كل مناسباتهــم الدينيــة : « السيطرة على العالم الإسلامى بدءاً من السيطرة على العالم العربى ومقدساته ، وتكوين امبراطورية يحكمها حاخامات بنى إسرائيل » ...!!

ولم يمض شهر على إحراق المسجد الأقصى ، حتىعقد زعماء المسلمين مؤتمر القمة الاسلامى الاول فى سبتمبر ١٩٦٩ ، بمدينة الرباط بالمغرب ، لبحث مشكلة المقدسات الإسلامية والمسجد الأقصى بخاصة .



● ادى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الشيخ صباح السالم الصباح صلاة الجمعة فى مسجد (بادشاهى) بالباكستان . ويبدو سموه فى مقدمة المصلين ، كما يبدو الى جانب سموه جلالة الملك فيصل ، ملك المملكة العربية السعودية ورئيس مجلس قيادة الثورة الليبى الرئيس معمر القذافى ، ويبدو كذلك الشيخ عبد الله الجابر الصباح المستشار الخاص لصاحب السمو الأمير المعظم .

ولأن مؤتمر الرباط كان مجرد رد فعل عاطفى على حادث الأقصى ، ولأنه — كذلك — عقد فى ظروف نفسية وتاريخية صعبة — فانه لم يسبقه إعداد تمهيدى ، ولم يكن لديه برنامج محدد « جدول أعمال » ، وبالتالى فانه لم ينته الى إصدار أية قرارات ، وانما تركزت قيمته الحقيقية ، فى أنه إعلان عن بداية مواجهة المسلمين للتحديات التى تواجههم ، واعلان — كذلك — عن أن الشعور الاسلامى والتضامن الاسلامى لا يزالان بخير فى الأمة الاسلامية .

وخلال السنوات الأربع التى تلت قمة الرباط تتابعت مؤتمرات إسلامية على مستوى وزراء الخارجية : فى جدة ١٩٧٠ ، وكوالا لامبور ١٩٧١ ، وجدة — مرة ثانية — ١٩٧٢ ، وبنغازى ١٩٧٣م ، بما أكد أن اتجاه المسلمين الى التضامن قد بدأ يشق له طريقا واضحا ، أكثر وعيا وتنظيما وإيجابية .

المناخ الجديد :

— لقد تغيرت فى هذه السنوات التى تلت مؤتمر الرباط كثير من المعادلات الدولية التى أكدت للمسلمين أن طريقهم الى الحياة والتقدم لن يكون بغير وحدتهم الاسلامية ،واعتمادهم على الله وعلى أنفسهم ، كما أن الوجه الحقيقى لأعداء المسلمين — على اختلافهم — قد تكشف إزاء عديد من القضايا التى هزت الكيان الاسلامى هزا عنيفا .

ـ ومع هذه الرؤية التي بدأت تتضح لأنظار المسلمين ، وقعت حرب العاشر من رمضـــان التي ظهر العرب فيها بوجـــه مشرف للإســـلام والمســـلمين ــ فأعطت هذه الحرب الكريمة للمسلمين والعرب روحا جديدة ، تؤكد حقيقة الوحدة التي تضمهم ، وتؤكد أنهم يملكون طاقات ضخمة تؤهلهم لتحرير أنفسهم ، وتحقيق التقدم والتفوق في المجالات المختلفة ، شريطة السير في تحقيق الوحدة ، وتحقيق الاعتماد على الله وعلى الذات .

وفي ظل الرؤية الجديدة ، وهـــذا الشعور الجـــديد ، انعقد مؤتمر القمة الاسلامية الثاني بلاهور في يوم الجمعة (٣٠ محرم ١٣٩٤هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٩٧٤م) .

أكبر تجمـــــع إســـــلامي :

وجهت سكرتارية المؤتمر الاسلامي الدعوة الى الدول الاسلامية الأعضاء ، فلبى النداء احدى وثلاثون دولة من بينها تسع عشرة دولة عربية ــ باستثناء دولة عربية واحدة ، ومع اعتبار منظمة التحرير الفلســـطينية ممثلة لشـــعب فلســـطين .

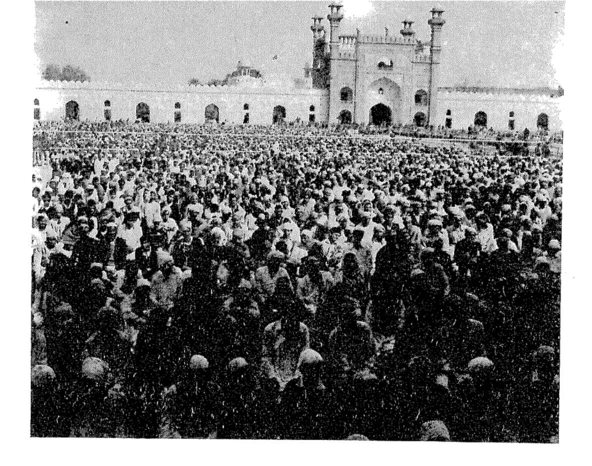
وقد طلب الانضمام لعضوية المؤتمر الاسلامي ست دول إفريقية تم قبول طلبها ، وقبول حضورها المؤتمر وهي : الجابون (التي اعتنق رئيسها عمر بونجر الاسلام مؤخرا) وغامبيا ، والكاميرون ، وأوغندا ، وفولتا العليا ، وغينيا بيساو .

وبقيـــة الدول الاسلاميـــة المشتركـــة هي : باكستان ، واندونيســـيا ، وأفغانستان ، وتركيـــا ، وايران ، وماليزيا ، وتشـــاد ، والنيجر ، وغينيا ، والسنغال ، والصومال ، ومالي . وأخيرا ، انضمت بنغلادش ، بعد محاولات الوفاق بينها وبين باكستان ، فبلغ بذلك مجموع الدول المشتركة في المؤتمر ثمان وثلاثين دولة إسلامية .

مؤتمـــــر لاهـــور :

في مسجد « باد شـــاهي » الذي شـــيده الامبراطـــور المغولي المســـلم « أورانجزيب » منذ ثلاثة قرون . . في هذا المسجد الذي يعد من أكبر وأجمـــل مساجد العالم ، والذي ارتبط اسمه بالشاعر والفيلسوف المسلم « محمد اقبال » . . في هذا المسجد قام الملوك والرؤساء بأداء صلاة الجمعة ، ووراءهم مائة الف مسلم ، حيث أمهم حامي حمى الحرمين ، **عاهل السعودية ، الملك فيصل** .

ــ وبعد الجمعة ، توجـــه الزعماء المسلمون الى مقر المؤتمـــر ليبـــدءوا عملهم الذي استمر ثلاثة أيام متتالية . وقد ركز « جدول الأعمال » ــ الذي كان وزراء الخارجية قد انتهوا اليه ــ على قضية واحدة محددة ، ذات أبعاد ثلاثة



● جموع المصلين الذين توافدوا على مسجد بادشاهي بالباكستان لتادية صـلاة الجمعـة ، حيث اجتمع اكبر عدد من رؤساء الدول الاسلامية فى العالم لتـادية صلاة الجمعـة فيه .

... أما القضية فهى قضية الشرق العربى ، واما ابعادها الثلاثة فهى : « عروبة القدس وإسلاميتها ــ حقوق شعب فلسطين ــ انسـحاب اسرائيل من الأرض العربيـة المحتلة » .

ولم يمنع هذا التركيز المؤتمر من أن يصل الى قرارين مهمين عـاجلين ، أحدهما خاص بقضية « الفلبين » ، والآخر خاص بقضية « الارتفاع بالمسـتوى الاقتصـادى للأمة الاسلاميـة » ، حتى لا تقع فريسة المسـاعدات الخارجية الخبيثـة !!

وكما بدأ المؤتمر واضحا ، فانه انتهى ــ كذلك ــ واضحا .. فكانت قراراته التى أقرها فى جلسته الختامية تؤكد فى مجموعها وسائل تحقيق الأهـداف التى وردت فى جدول الأعمـال .

ولما كان الأستاذ وزير الأوقاف والشئون الإسلاميـة ، عضوا فى الوفـد الكويتى الذى رافق صاحب السمو أمير الكويت المعظم الى المؤتمر ، توجهنا إليـه بالأسئلة الآتيـة :

● سيادة الوزير : **« صرح صاحب السمو امير البلاد المعظم ، بان مؤتمر لاهور كان مؤتمرا عمليا وإيجابيا ، امتاز بالنظرة الواقعية » هل تتكرمون بتفصيل هذا التصريح من خلال معايشتكم للمؤتمر وقراراته ؟**

ـــ اجاب سيادته :

« لقد كان مؤتمر القمة الذى عقد فى مدينة لاهور عاصمة « البنجـــاب » الإقليمية ، متفهما للقضية العربية ، مدركا أنها قضية تهم كل مسلم . وليست قضية عربية فقط ، وأنها ـــ قضية كل البلاد التى تقف ضد الظلم والعــدوان ، وقضية كل أولئك الذين يؤمنون بأن من حق كل شعب أن يقرر مصيره بإرادته الحــرة .

وبالنظر لما توفر لهذا المؤتمر من تجمع إسلامى كبير ، ضم مختلف المناطق الاسلامية ، شرقها وغربها وشمالها وجنوبها ، فقد عبَّر المؤتمرون باجتماعهــم هذا ـــ عن روح التضامن الاسلامى والأخوة الاسلامية التى حث عليها رســـول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « **ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجســد بالسـهر والحمى** » ..

وأيضا الى بالنظر الى الروح التى سادت هذا المؤتمر وهى روح الأخــوة الاسلامية الصافية الصادقة .

وبالنظر للقرارات التى اتخذها المؤتمر ، وهى القرارات التى أعطت للقضايا العربيــة الاسلامية دفعا معنويا وواقعيا طيبا ..

ـــ بالنظر لهذا كله ـــ يتأكد بجلاء أن مؤتمر لاهور ، كان ـــ حقيقة ـــ مؤتمرا عمليا وايجابيا وواقعيا .

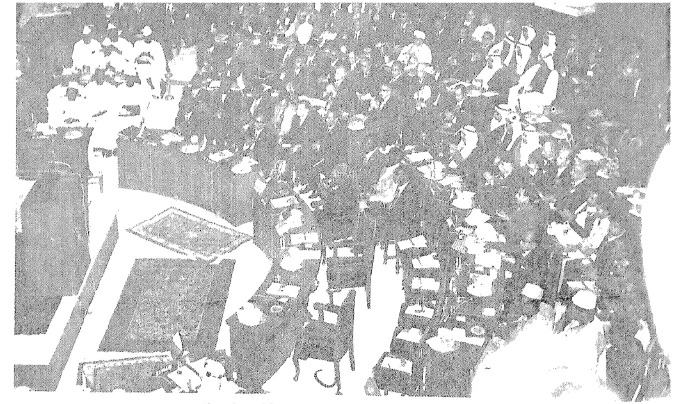
● **هل أعطى المؤتمر قضايا إسلامية أخرى ـــ غير القدس وفلسطين ـــ نصيبا من جهده وقراراته ؟**

ـــ نعم ، أهتم المؤتمر ببعض القضايا الاسلامية الملحة ، غير قضيتى القدس والشرق الأوسط ... وعلى سبيل المثال ، فان مشكلة الفلبين أخذت حيزا كبيرا من اهتمام المؤتمر ، واتخذت بشأنها قرارات مناسبة وجدية ، وشكلت لجنــة لمتابعة هذه القرارات ، وايضا .. نجح المؤتمر فى تقريب الخلاف بين باكستان وبنغلادش ، وفى حضور الشيخ مجيب الرحمن الى المؤتمر ، واعتراف باكستان ببنغلادش . وغير خافٍ الجهد الكبير الذى قامت به الكويت ـــ بالذات ـــ فى هذا السبيل ـــ وانه بحقّ لجهد ريادى ضخم ..

ومع ذلك ، وفيما يتعلق بهذا السؤال أحب أن أقول : إن القضايا الاسلامية كثيرة ، ومن الصعب تناولها بالقدر المطلوب لها فى مؤتمر « القمة » ، والمعروف أن مؤتمرات وزراء خارجية الدول الاسلامية المتتالية تقوم بمتابعة القضــــايا الاسلامية كلها ، وأما اجتماع « القمة » فهو لعلاج قضايا حاسمة وملحة وعاجلة .

هذا فضلا عن أن مؤتمر القمة الاسلامى كان يسير وفق « جدول أعمال » انتهت اليه الاجتماعات التمهيدية لوزراء الخارجية ، وتم فيها وضع القضــــايا ذات الأولوية أو الخطــورة أمام الزعماء المسلمين . وهى تلك القضــــايا التى تستدعى جهد « القمة » نفسها ، ومشاركتها مشاركة مباشرة .

● **مع تقديرنا لقرارات المؤتمر المحددة حــول القدس والحق العــربى والفلبين ... هل صدرت قرارات عامة تؤكد بداية التضامن الاسلامى ، وتخــدم مجمــوع المسلمين ؟**



● جانب من حفل افتتاح مؤتمر القمة الاسلامى فى لاهور

ـ لقد تدارس المؤتمر الموقف الاقتصادى الاسلامى بصفة عامة ، ووضع البلاد الاسلامية الاقتصادى بصفة خاصة .

وبناء على هذه الدراسة ، قرر إنشاء لجنة تتكون من ممثلين وخبراء من الجزائر ، ومصر ، والكويت ، وليبيا ، وباكستان ، والمملكة العربية السعودية ، والسنغال ، ودولة الامارات العربية .

ـ وأبرز أعمال هذه اللجنة إيجاد الوسائل والأساليب التى تهدف الى تخفيف المصاعب الاقتصادية التى تواجهها الدول النامية ، والتى تنظم شروط التبادل التجارى بين الدول المتقدمة والدول النامية ، فيما يتعلق بموارد المواد الخام واستيراد السلع المصنعة والخبرة الفنية .. وكل هذا فى سبيل القضاء على الفقر والمرض والجهل فى البلاد الاسلامية ، وإنهاء استغلال الدول الصناعية الكبرى للدول الاسلامية .

واعتقد أن هذا القرار الاقتصادى سيكون له أثر حميد فى خدمة الأمة الاسلامية كلها ، وحل كثير من مشاكلها التى تكاد تكون مشتركة بين أكثر دولها .

● من بين قرارات مؤتمر وزراء الأوقاف العرب المنعقد بالكويت فى المحرم ١٣٩٣ ، إنشاء « مكتب تنسيق إسلامى » ... هل تم انشاء هذا المكتب ؟ والا يمكن عن طريق هذا المكتب ـ بعد مؤتمر لاهور ـ التخطيط لعقد مؤتمرات وزراء الأوقاف على مستوى العالم الاسلامى كله ؟

ـ الحق أن مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الاسلامية العربى الذى عقد فى الكويت ، كان مؤتمرا تأسيسيا فقط ، وبالتأكيد ، وبعد ظهور طابع التضامن الاسلامى .. لا شك أن التنسيق سيكون قائما بين مؤتمرات وزراء الأوقاف والامانة العامة للمؤتمر الاسلامى ، لتتولى هى مهمة مكتب التنسيق الاسلامى . وسيكون من السهل بعد ذلك عقد مؤتمرات لوزراء الأوقاف والشئون الاسلامية على مستوى العالم الاسلامى ، ولا سيما وأن معظم وزراء الأوقاف

والشئون الاسلامية كانوا اعضاء فى وفود بلادهم الى مؤتمر القمة الاسلامى فى لاهــور .

● **هل تقابلتم وبعض السادة وزراء الأوقاف الذين حضروا الى لاهور ؟**

ــ التقيت بأكثر من وزير للأوقاف والشئون الاسلامية ، وتباحثت معهم فى القضايا التى تهم العالم الاسلامى ، والتى يمكن التعاون فيها لخدمة الاســلام والمســلمين .

ومن هؤلاء الإخوة الوزراء الذين التقيت بهم : وزير الشئون الدينية والتعليم الأصلى بالجزائر « مولود قاسم » ، ووزير الشئون الدينية فى موريتانيا « أحمد ابن آل‌عمر » ، ووزير الأوقاف والشئون الاسلامية فى المغرب « الناصرى المكى » والدكتور « عبد العزيز كامل » نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف فى مصر ، وغيرهم من إخوانى المسئولين عن الشــئون الاســلامية فى البلاد العربيــة والاســلامية .

● **ايمكن بعد مؤتمرى الرباط ولاهور ان نقول : ان هناك قوة اسلامية ، ذات شخصية مستقلة ، وأهداف مشتركة ، بدأت تظهر على المسرح الدولى ؟**

ــ الحقيقة أن هذا التجمع الاسلامى الذى تمثل فى مؤتمر القمة بلاهور ، أعطى العالم الاسلامى مميزات وملامح مستقلة ، كقوة مادية ومعنوية دوليــة ، لها عقيدتها الخاصة ، ولها رسالتها نحو الانسانية . وهى تملك المقومات المشتركة التى تربط بين أعضائها ، وتمكنها من متابعة مسيرتها ، وتحديد موقفها من الصراع الحضارى الدائر فى عالم اليوم .

والأمل كبير فى ان هذا التجمع الاسلامى ، سيكون له ما بعده من مظاهر الوحدة والتضامن بين أعضاء خير أمة أخرجت للناس ، حتى يعود المســلمون ــ باذن الله ــ الى مكان القيادة من جديد ، فينقذوا المدنية الحديثة من هــاوية السقوط الأخــلاقى ، وعبادة المادة ، واستعباد الانسـان لأخيه الانسـان . وما ذلك على الله ببعيــد !!

اضواء اخيرة على المؤتمــر :

إن التقويم الموضوعى لمؤتمر لاهور يوجب نظرة شمولية الى النتائج القريبة والبعيــدة التى اسفر عنها المؤتمر .

وفى يقينى أن القرارات التى انتهى اليها المؤتمر ، لا تعدو أن تكون جزءا محــدودا من آثاره البعيــدة المدى فى قضية التضامن الاسلامى ، والنهضــة الاســلامية .

والمتتبع لحركة المؤتمر الدائبة خلال أيامه الثلاثة ، يلاحظ التفاعل والتلاحم بين أعضــاء الجسم الاسلامى ، الذى اجتهد الأعداء فى تمزيقه وتشتيته ، فهنا

وهناك لقاءات ، ومباحثات « واتصالات جانبية » ، « ومساع حميدة » ومحاولات جادة لإزالة الخلافات الطارئة المصطنعة التى تراكمت بفعل المخطط الاستعمارى والتدخـــلات الأجنبيـــة .

ــ ولقد اثيرت خلال الجلسات قضايا حيوية ، يعتبر مجرد إثارتها ، والتفكير فيها هذا التفكير الجدى ، وطرحها للحوار على النحو الذى طرحت به ــ عمـــلا ايجابيا فى حد ذاته : فقضية المصرف الاسلامى ، والسوق الاسلامية المشتركة ، والالتزام بالدفاع عن اية دولة اسلامية يعتدى عليها ، وإنشاء جامعة اســـلامية للتكنولوجيا ، وعدم السماح بنزول الطائرات الاسرائيلية فى الأرض الاسلامية ، والانتقال بالتعاون الاسلامى من دائرة الشعارات الى دائرة التنفيذ الفعلى عــن طريق التعاون الاقتصادى بين الدول الاسلامية بعضها البعض .

... هذه القضايا الحيـــوية التى طرحت فى لاهور على مائدة الحـــوار ، واخذت طريقها الهادىء الى لجان المؤتمر الاسلامى ، كانت منذ سنوات قريبـــة حلما ، لا يكاد يصل إليه الخيـــال .

ــ وظاهرة اخرى جديرة بالنظر ، فان المجموعة العربية ، قد ظهرت خلال المؤتمر كمجموعـــة متماسكة قوية ملتزمة جـــديرة بأن تعود الى قيـــادة العالم الاسلامى من جـــديد .

ــ ومع اننا كنا نأمل فى حضـــور قادة « اندونيسيا وايران وتركيـــا » شخصيا ، لأن ذلك كان من شأنه ابراز « التضامن الاسلامى » على نحو اقوى ، إلا اننا نعتقد أن ظاهرة التضامن الاسلامى فى طريقها الى أن تصبح ظاهرة عامة ، لا توقفها عوارض جزئية طارئة !!

ــ لقد اعلنت مقدمة البيان الختامى للمؤتمر ، أن ملوك ورؤســـاء الدول والحكومات وممثلى البلاد والمنظمات الاسلامية يعربون عن :

- « إيمانهم بأن دينهم المشترك انما يمثل رابطة لا انفصام لها بين شعوبهم » .
- « ويقينهم بأن للبلاد الاسلامية دورا رئيسيا فى الكفاح من أجل التقـــدم الجماعى وخلق نظام عالمى يقوم على العدل والإنصاف » .
- « وتصميمهم على صون التضامن بين الدول الاسلامية وتنميته » ..

ــ ان هذه الروح الجديدة التى عبَّرت عنها مقدمة البيان الختامى للمؤتمـــر هى ابرز « المنطلقات » التى تهم حركة التاريخ ، لأنها الإعلان عن انطلاق « الارادة الاسلامية » و « التضامن الاسلامى » و « الروح الاسلامية » القادرة على قهر التحديات ، وصنع الحضارة ، وإعادة بناء الانسان المسلم والانسانة المسلمة .

عبد الحليم عويس



« ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » .

— قرآن كريم —

والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ، ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أهل النار .

— حديث شريف —

الايمان طمأنينة

مر ابراهيم بن أدهم على رجل ينطق وجهه بالهم والحزن ، فقال له :

أيها الرجل انى سائلك عن ثلاث ، فأجبنى عنها . فقال الرجل : نعم

قال : أيجرى فى هذا الكون شىء لا يريده الله ؟ قال : كلا . قال : أفينقص من رزقك شىء قدره الله لك ؟ قال : كلا . قال : أينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك فى الحياة ؟ قال : كلا . قال ابراهيم : فعلام الهم اذن .

نساء الأنصار

قالت ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها : ما رأيت أفضل من نساء الأنصار اشد تصديقا لكتاب الله ، ولا ايمانا بالتنزيل .. لما نزلت فى سورة النور : ((وليضربن بخمرهن على جيوبهن)) انقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ما انزل الله اليهم منها ، يتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذى قرابته ، فما منهن امرأة الا قامت الى مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقا وايمانا بما أنزل الله من كتاب فاصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم كانهن على رءوسهن الغربان .

اجير أو أمير

دخل أبو مسلم الخولانى على معاوية بن أبى سفيان فقال :

السلام عليك أيها الاجير فاستنكر ذلك جلساء الخليفة ، وقالوا له : قل السلام عليك أيها الأمير ، فاعاد السلام عليك أيها الاجير ، قالوا : بل قل ايها الأمير ، فأصر على قوله وهنا فطن معاوية الى قصده ، وقال : دعوا أبا مسلم فانه أعلم بما يقول .

فقال أبو مسلم : انما انت أجير استأجرك رب هذه الأمة لرعايتها ، فان أنت داويت مرضاها ، وحبست أولاها على أخراها وفاك سيدها أجرك وان أنت لم تفعل عاقبك سيدك ..

جائزة وعقوبة

مثل رجل بين يدى المنصور ، ورمى بابرة ، فغرزت فى الحائط ، ثم اخذ يرمى واحدة بعد الاخرى ، فكانت كل ابرة تدخل فى ثقب سواها حتى بلغ عدد الابر مائة ، فاعجب المنصوربه ، وأمر له بمائة دينار وحكم عليه بمائة جلدة ، فارتاع الرجل وسأل عن السبب ، فقال له المنصور :

اما الدنانير فلبراعتك ، وأما الجلدات فلاضاعتك الوقت فيما لا ينفع .



الشيخ عبد الحميد السائح

ميلاد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم حدث من الأحداث العالمية ، التى غيرت مجرى التاريخ ، وكان لها الأثر الأكبر ، فيما حدث بعد ذلك ، من تغييرات جوهرية فى الجزيرة العربية وفيما حولها ، ثم فى الأقطار والأمصار ، التى وصل اليها الإسلام بدعوته الخيرة ، واخلاقه العظيمة ، التى كانت تتمثل فى تطبيق المسلمين أحكام الاسلام فى معاملاتهم وتصرفاتهم ، وكان رسل الاسلام ومبعوثوه وتجار المسلمين مرآة للاسلام سلوكا وصفاء ، وعدلا ووفاء ، فجذبوا غيرهم اليهم ، وانتشر الاسلام فى انحاء المعمورة .

ولكن هل وفى المسلمون بحق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد تفرقوا أيدى سبأ ، وأصبح كل فريق يناوىء الآخر ، ويخطط لقهره أو التغلب عليه ، وشاعت العصبية بثوب الحزبية ، والمبادىء المستوردة ، وأصبح كل جماعة يتنادون لما يلتفون حوله من آراء ، ولو عارضت الاسلام فى مخططاته ومعتقداته ، وقد نحى الاسلام عن الحكم والتشريع ، وأبعد القرآن عن العمل والتطبيق ، وهجر الاسلام فى دواوين الدولة ، ومجتمعات الأمة ، على اختلاف أنواعها واشكالها ، واكتفينا من ذلك كله بالمظاهر ، واغرقنا فى البعد عن الجواهر ، مع أن هذا الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » (١) ، والله تعالى يقول : **(لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)** (٢) .

وقد أرسل الله هذا الرسول العظيم رحمة للعالمين ، ينقذهم من جهالاتهم وضلالاتهم ويصرفهم عن عصبيتهم وأهوائهم ، ويجعلهم مثال العدالة والاستقامة ، قال تعالى : « **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين** » (٣) .

وقال سبحانه : (**وما ارسلناك الا رحمة للعالمين**) (٤) .

يا مسلمون : هذا الرسول الأعظم نعمة الله عليكم فلا تكفروها ، وهبة الله اليكم فلا تجحدوها ، ومصدر كل خير فاجعلوه قدوتكم وإمامكم ، وليكن الحكام السباقين ، حتى يتبعهم المحكومون ، ولتعم خيرات هذا الرسول صلى الله عليه وسلم البيت والمدرسة والشارع وكل المجتمعات ، تغترف من هديه وتستنير بتعاليمه حتى نصبح حقيقة مسلمين مؤمنين ، بشريعة الله عاملين ، ولهدى الرسول مطبقين ، (**قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئاً ان الله غفور رحيم . انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون**) (٥) .

وحينئذ يتسابق المؤمنون فى ميادين البر والخير والعمل الصالح ، وجهاد الأعداء والحفاظ على كرامة المؤمنين ومقدسات المسلمين ، فى سبيل ارضاء الله والرسول وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : (عند الله خزائن الخير والشر ، مفاتيحها الرجال ، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر ، وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير) (٦) .

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : (اعلم أن الأمة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) : رواه الترمذى ، وفى رواية غير الترمذى . احفظ الله تجده أمامك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم ان النصر مع الصبر ، وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا) (٧) .

فهذه الهداية النبوية وأمثالها هى التى دفعت أصحاب رسول الله الى ميادين القتال والشهادة دفاعا عن الاسلام وذيادا عن حياضه وطمعا فى رحمة الله ورضوانه ، وهذه المبادىء هى التى كان المسلمون يتسابقون ويتنافسون فى تطبيقها ، ورسول الله قدوتهم وسيد البشر امامهم ، يعتبرون أموالهم حقا لله وانفسهم وقفا على رضا الله ، يبذلون كل ذلك حرصا على طاعة الرسول

ورضـــاه (**من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهـم حفيظـــا**) (٨) .

وكان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتابعون من بعـــدهم يدننون كل عصبية او تجمع لا يرضي رسول الله ، وكل مبـــدأ يسبب سخطا لرسول الله ، لا يحبون الا فى الله ، ومن أجله ، ولا يبغضون الا فى الله ومن أجل الله ، سائرين على درب الرسول فى اعتبار القرآن امامهم وقبلتهم ، يتعبدون بتلاوة آياته وتدبرها ، وتنفيذ أحكامه ، وتطبيق تعاليمه ، فكونوا تلك الجماعة الاسلامية المجندة لخير البشرية والمتماسكة فى سبيل دفع الأذى والشر ونصر المظلوم وردع الظالم والتضحية من أجل كل ذلك بالنفس والنفيس متمثلين بقوله سبحانه : (**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين . وانفقوا فى ســـبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين**) (٩) .

وقوله سبحانه : (**ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**) (١٠) .

الموقف فى ساعة العسرة

ولما وقع المسلمون فى ضائقة وشدة يوم تبوك ودعا الرسول أصحابه الى البذل والسخاء انقاذا للاسلام والمسلمين من شر الطغاة والمعتدين تسابق أصحاب رسول الله وتنافسوا فبذل أبو بكر كل ماله ، وبذل عمر نصف ماله وبذل عثمان الكثير الكثير فى تجهيز الجيش واعـــداده كما بذل الآخرون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

موقفـــه من المتخلفين

وقد تخلف عن اجابة النداء عدد من أصحاب الرسول منهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع ، وليس لهم عذر فى هذا التخلف فقرر الرسول مقاطعتهم ومنع الناس من كلامهم وقد جاءت زوجة أحدهم تستأذن الرسول فى خدمته وهو شيخ طاعن ليس له من يعينه فأذن لها فى خدمته عـــلى أن لا يقربها ، واستمروا على ذلك خمسين ليلة ، وهم فى أشد حالات الضنك والضيق الى أن نزلت توبتهم من السماء ، فرأى كعب أن من تمام توبته أن يخرج عن ماله صدقة الى الله ورسوله .

وانزل الله تعالى على رسوله : **(لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم • وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم • يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)** (١) .

فكان هذا الموقف درسا لكل من يتخلف عن مسايرة الجماعة والمساهمة فى عمل الخير والجهاد بالنفس والمال خصوصا فى أوقات الشدة والضائقة التى تصادف المسلمين (١٢) .

العبرة في هذه الذكرى

على المسلمين حيثما وجدوا أن يراجعوا انفسهم ويفكروا فى ما اصابهم في فلسطين وغير فلسطين وما يمكن أن يتهددهم من أخطار ويتعرضوا له من بالغ الأضرار اذا هم تخلفوا عن الاستمرار فى البذل والسخاء والتخلى عن الأهواء والأطماع ويذكروا أن للمسلمين قوة لا تبارى ولديهم من الامكانات المتعددة ما يحمل اية جهة على التفكير عدة مرات قبل التخطيط لمعاداتهم واهمال شأنهم لو انهم على درب الرسول سائرون ولدعوة محمد منفذون ولشريعته مطبقون .

فواجب عليهم أن يعملوا جديا على استلهام شريعة الرسول وتطبيق احكامها فى قوانينهم والتقيد بحدودها فى كل تصرفاتهم ويحرصوا على ديار الاسلام غير مفرطين فى اى جزء منها خصوصا اذا ارتبطت بعقيدتهم الدينية وحضارتهم الاسلامية ويحزموا أمرهم على أن لا يفرطوا فى القدس الشريف او غير القدس من الديار المنهوبة المعتدى عليها ، واذا اعتصموا بحبل الله واذعنوا لأمر الله ، وكان هدفهم رضا الله ورضا رسول الله فانهم واصلون لما يعيد اليهم عزتهم وكرامتهم وديارهم **« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم »** (١٣) .

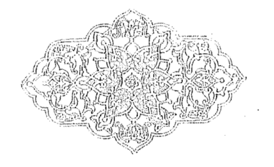
ايها المسلمون :

فى ذكرى مولد الرسول — اذكروا جهاد الرسول وأصحاب الرسول
فى ذكرى مولد الرسول — اذكروا تضحيات الرسول وأصحاب الرسول
فى ذكرى مولد الرسول — اذكروا صفحات سيرة الرسول وأصحاب الرسول
فى ذكرى مولد الرسول — اذكروا غزوات الرسول ومواقف أصحاب الرسول

فى ذكرى مولد الرسول اذكروا ما منّ الله على الرسول وأصحاب الرسول من النصر المبين والاعزاز والتكريم

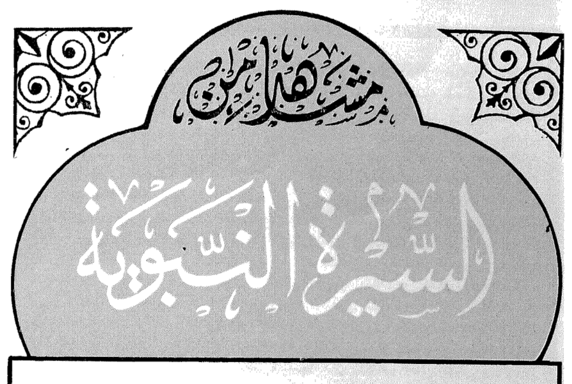
اذكروا كل هذا للائتساء والاقتداء بالرسول وأصحاب الرسول لتعود لكم قوتكم ويهابكم أعداؤكم وتتفوا فى الذروة بين الأمم ، وحينئذ يرضى عنكم الرسول فى ذكرى مولده وتحققون ما هدف اليه الرسول فى قوله صلى الله عليه وسلم :

(المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف) (١٤) .



---

(١) الامام مسلم .
(٢) الآية ٣٧ من سورة الحج .
(٣) الآية ١٦٤ من سورة آل عمران .
(٤) الآية ١٠٧ من سورة الانبياء .
(٥) الآيتان ١٤ و ١٥ من سورة الحجرات .
(٦) الطبرانى ، الحديث ١١٥٠ من كتاب قبس من نور محمد صلى الله عليه وسلم للدكتور محمد فايز المط .
(٧) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى ص ١٦٠ ، ١٦١ .
(٨) الآية ٨٠ من سورة النساء .
(٩) الآيتان ١٩٤ و ١٩٥ من سورة البقرة .
(١٠) الآية ١١١ من سورة التوبة .
(١١) الآيات ١١٧ — ١١٩ من سورة التوبة .
(١٢) مختصر زاد المعاد ص ٣٥٨ .
(١٣) الآية ٧ من سورة محمد .
(١٤) الامام مسلم .



للاستاذ : محمد المجذوب

– ١ –

((لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)) .

وردت هذه الآية الكريمة أثناء القسم الأول من سورة الأحزاب ، التى نزلت فى أعقاب غزوة الخندق ، وكانت ضربا عاليا من الامتحان ، كشف مخبآت النفوس ، وميز كل صنف من سكان المدينة بلونه وخصائصه .. فكان هناك المؤمنون الذين ابتلوا وزلزلوا فلم تزدهم الشدة الا صفاء وتألقا ، وكان هناك المنافقون ، الذين فضحتهم المحنة فلم يملكوا كتمان ما انطوت عليه أنفسهم ، فاذا هم يصارحون بالعداء والشمات والتكذيب ، وكان هناك أيضا اليهود ، الذين استهوتهم الفتنة فنكثوا أيمانهم ، وانسلخوا من الذى وقعوه مع رسول الله ، وتهيئوا للاجهاز على المؤمنين من وراء وراء ..

ونظرة واعية الى سياق الآية ما تقدمها وأعقبها من وصف لظـروف الغزوة ، كيف بدات وكيف انتهت ، توضح بصورة قاطعة أن تدبيرا ربانيا حكيما قد تولى تنسيق الوقائع ، ويسر لكل جزء مناسببه الممهد لخاتمته .. لتتمايز الوجوه فيحيا من حى عن بينة ، ويهلك من هلك عن بينة .. ولتتجلى للمؤمنين ، فيما بعد وحتى تقوم الساعة ، طريق العزة والنصر لاحبة بارزة ، لا يزيغ عنها الا عم لا يفرق بين سبيل المؤمنين ومجاهل الكافرين ..

ومع أن السورة قد عنونت باسم (الاحزاب) لم يستغرق حديث الغزوة منها سوى أقل من ربعها . اما ما قبل ذلك وما بعده فينصب على ترسيخ المبادىء الاساسية التى يجب أن ينهض عليها المجتمع المسلم . يبدأ ذلك بشخص الرسول نفسه صلوات الله وسلامه عليه ، وبأهل بيته المطهر ، وبيان الصلة الوثقى التى يجب أن تربط الأمة به وبهم .. ثم الوشائج الروحية التى تؤلف بين قلوب أهل الايمان .. ومن ثم تسلط الاضواء على العناصر الخارجة عن نطاق هذا المجتمع النبوى ، لتكشف مؤامراتها عليه .. فاذا ما استوفت آيات الغزوة عرض الأحداث القتالية ، عادت الى اتمام ما بدأت من رفع ركائز التنظيم ، وفى طليعته تحصين البيت النبوى بكل ما يجعله صالحا لاعطاء القدوة العليا . ثم تمضى الآيات فى توسيع هذه الدائرة حتى تشمل جوانب المجتمع الاسلامى بأسره..مجهزة أثناء ذلك على رواسب من تقاليد الجاهلية ، التى لا تتفق مع أهداف الاسلام ، ومعمقة لجذور الاعتصام بقيادة الرسول وطاعته ، انسجاما مع الادارة الربانية ، التى تعلن رضاها عنه بصلاة الله وملائكته والصالحين من عباده عليه ، صلى الله عليه وسلم ، وموجهة عناية كبيرة الى توكيد سلامة البيت المسلم وحياطته بكل الآداب التى تجعل منه مثلا اعلى للمجتمع السعيد النظيف .. حتى ينتهى المطاف بمصاير كل من المهتدين والضالين ، مع التوكيد على ما بدأت به السورة من أمر بالتقوى ، والتزام سبيل المؤمنين ، والحفاظ على أمانة الله بالطاعات المؤدية الى مغفرته ورضوانه .

وبقليل من التفكير السديد يتبين العقل أن حياة رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، فى نفسه وفى بيته وسلوكه فى معالجة القضايا الانسانية، هى النواة التى حولها تتحرك محاور السورة كلها ..

إنه المجتمع المسلم المتميز بخصائصه الربانية ، من الايمان بالله ، والتطلع الى ما وراء الحياة الفانية ، والاستحضار الدائم لجلال الله .. ذلك المجتمع الذى عرف سبيله واضحا على خطى الانموذج البشرى الاسمى ، الذى اصطفاه الله قائدا لعباده ، وقرن مرضاته بالتزامه فقال : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقد أنشأه على عينه فلم يزل يترقى فى آفاق الكمال حتى استحق ان يقول له : (وانك لعلى خلق عظيم) وان يوجه المجتمع الايمانى الى الاقتداء به فى كل تصرفاته ، قائلا على سبيل القطع والاستمرار (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ...)

ومن أوائل البدهيات الا سبيل الى تحقيق الأسوة الا باقتفاء آثار المعنى بها ، ومعنى ذلك بالنسبة الى المسلمين أن يكونوا على علم بسيرة المثل الكامل، الذى أخذ عليهم العهد باتباعه منذ أن أعطوا ربهم ميثاق السمع والطاعة بشهادة التوحيد ، ومن هنا كان العلم بسيرته صلوات الله وسلامه عليه واجبا،

بل فرض عين على كل مسلم حسب طاقته من المعرفة ، اذ لا مندوحة للمسلم عن تعرف المثل التطبيقي لحقائق الاسلام ، متجلية في صورة بشرية تعيش واقع الحياة ، وتعامل أحداثها على ضوء من هذه الحقائق .

ولا حاجة الى التذكير بان اغفال سواد المسلمين لهذا الجانب الهام من أصول الاسلام ، هو الذى قذف بالامة فى ظلمات الضياع والتخلف ، لانه قطع ما بينها وبين نبيها من وشائج المعرفة وعلائق الاسوة .. وهو انفصام واسع المدى يستوى فى تبعاته عامة المسلمين ، والجيل الذى امتصته الثقافة الغربية وعلى رأسه فئة المزودين بمركب الجهالة العمياء لدينهم .. وانما جاء استواء الفريقين فى مسئولية هذا الانفصام ، من حيث التقاؤهما على مجافاة الحقيقة الممثلة فى شخصيته صلوات الله وسلامه عليه . فاذا كان المستغربون من أبناء المسلمين قد أفسد المكر اليهودى فطرتهم ، حتى لم يعودوا يعلمون عن هذا النبى العظيم الا ما لقنوه من أعدائه ، فان فطرة العامة قد شوهتها أيضا شعوذات المنحرفين ، فهم لا يحملون عن شخصية الرسول الا بعض الصور الغائمة ، التى لا تكاد تتصل بحقائق الحياة .. ولا يكادون يتصلون هم بها الا فى حفلات الموالد ، التى استحالت فى الغالب الوانا من اللهو واللغو لا تهب المجتمعين عليها أى مردود صالح ..

واذا كان للأسوة الحسنة كل هذا الأثر البناء ، فلا بد من العلم الحاسم بان كل محاولة لاستردادها ، ورد المسلمين اليها ، سيكون نصيبها الاخفاق الذريع ، اذا لم تقم على أساس الفهم السليم لحياة الرسول الكريم ، من خلال الكتاب الحكيم ، والسيرة الصحيحة ..

وهذا ما حدانى اليوم للوقوف عند بعض المشاهد من خلال السيرة المطهرة .. يقينا منى بانها خير ما نستقبل به ذكرى اشراقته صلوات الله عليه وسلامه على هذا العالم التائه ..

لما أحس مشركو قريش فشو الاسلام ، ونجاة المهاجرين الى الحبشة من اذاهم ، وما نال رسول الله من القوة باسلام حمزة وعمر رضى الله عنهما ، عمدوا الى سلاح جديد من صنع الشيطان ، هو المقاطعة الشاملة لكل من يقف الى جانبه من بنى هاشم وبنى المطلب .. وكتبوا بذلك الصحيفة المعروفة. ومضت القطيعة الى غايتها قرابة الثلاث السنوات لقى المسلمون خلالها أفانين البلاء .. ولكن هذا لم يفل من دأب رسول الله فى عرض دعوة الله على الناس ، ولا سيما الوافدين الى مكة من أرجاء الجزيرة ، على كثرة ما واجه من أذى الطواغيت ، الذين استخدموا كبير نفوذهم للحيلولة بينه وبينهم ، وظل على شأنه من الطواف والتعبد فى المسجد الحرام متحديا بذلك جبابرة قريش ، ثقة بموعود الله الذى أمره بالتبليغ ، وبشره بالعصمة من الناس .

– ٢ –

ونزل الموت بابى طالب ، ثم تلته الزوجة الوفية الخالدة خديجة رضى الله عنها خلال أيام .. وبذلك حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجناحين اللذين طالما أظلاه بالعون والحب ، وتجرأ عليه من لم يكن ليطمع بذلك من قبل ، حتى ليعترضه أحد السفهاء فينثر على رأسه التراب ، ولما جاءت احدى بناته تغسل رأسه جعلت تبكى فيهدىء من روعها بقوله : ((لا تبكى يا بنية ، فان الله مانع أباك)) ..

ويغادر مكة بحثا عن انصار للدعوة فى الطائف .. بيد انه يعود باشد من الأذى الذى لقيه من قريش ، حتى أن كبراءها ليغرون به السفهاء والعبيد يسبونه ويصيحون به ، الى أن ألجئوه الى حائط لاثنين من ألد أعدائه .. فلم يزد على أن يرفع الى ربه هذه النفحات المائجة بعبير الرضى عن قضـــائه : ((اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس .. ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى)) ..

– ٣ –

وفى أحد تضيق الدنيا بالمسلمين وهم يستمعون الى النبأ الصادع بمقتل رسول الله ﷺ فيطيش وعى الكثرة منهم ، حتى ليغفلون عن أزمة النصر التى قبضوا عليها ، ويهيمون على وجوههم تتقاذفهم الارض هنا وهناك ... ولـــكن رسول الله يثبت فى وجه الدفق المنصب عليه من العدو كانه الجبل الاشم بازاء العواصف .. تزهر عيناه من خلال المغفر ، وينظر الى البقية القليلـــة من صحابته يشجعهم وهو يبتسم ، فكأن الشاعر لم يعن سواه عندما قال وهو يغالى فى وصف بطله :

وقفت ، وما فى الموت شك لواقف
كانك فى جفن الردى وهـــو نائـــم
تمـــر بك الأبطـــال كلمى هزيمـــة
ووجهك وضاح وثغـــرك باســـم

– ٤ –

وفى مرجع رسول الله صلوات الله عليه وسلامه من غزوة ذات الرقاع نزل بصحابته فى أحد الاودية ، واتخذ مقيله فى ظل سمرة بعد أن علق بها سيفه .. وبينا هو غارق فى نومه اقبل أعرابى من الفتاك فاخذه فاستلـــه . واستيقظ رسول الله ليرى الاعرابى وقد استعد للجريمـــة ، وتملكه الزهو

فجعل يهز السيف بوجهه وهو يقول : من يمنعك منى ؟!.. وفى وقار النبوة الذى لا يعرف الخوف من بشر أجاب : يمنعنى الله .. وسرعـــان ما سرت الرعدة فى أوصال الرجل حتى سقط السيف من يده ، فيأخذه الرسول ويقبل الصحابة ليروا الفاتك وقد أخذه الروع ، وجلس بين يديه صلى الله عليـــه وسلم يترقب قضاءه العدل .. ولكنه صلوات الله عليه وسلامه يأبى أن يكون الا حيث وضعه ربه فوق الانتقام الشخصى ، فرد للمرتاع أمنه ، ومنحه الحياة والحرية وكان لهذا الفضل مردوده فى نفوس القوم الذين أدركوا أن الذى يجهدون للايقاع به هو فى حماية الله ، وفوق المألوف من خيار عباده .

— ٥ —

وفى وادى حنين فوجئت كتائب الله بكمائن هوازن تنحدر عليها من جانبيه فتاخذ الفجاءة عيون المؤمنين ، فاذا هم ينتشرون باحثين عن منافذ النجاة . ولا يتمالك بعض الطلقاء ، الذين لم تخالط بشاشة الايمان قلوبهم بعد ، فيعلن فرحته بما توقعه هزيمة ساحقة للاسلام ، ويصرخ آخر : ألا بطل الســـــحر اليوم ..

وثبت مع رسول الله نفر من المهاجرين والانصار ومن أهل بيته ، ممن كان على مقربة منه اثناء الجولة ، فلم تنل منهم الصدمة المفاجئة .. وجعل رسول الله يتقدم فى نحر العدو وهو يرتجز :

أنـــا النبى لا كـــذب ... أنا ابــن عبــد المطــلب

ويهيب بالمسلمين الشاردين : أين أيها الناس ؟ .. هلموا الى .. انا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ..

ويوعز الى العباس عمه ان أصرخ : يا معشر الانصار .. يا معشر اصحاب السمرة ... فتتردد اجاباتهم : لبيك .. لبيك .. وينتهى اليه بعد لأى مئة منهم ، لا تلبث أن تقتحم غمرات الموت بين يديه صلوات الله وسلامه عليه .. وما هى الا صولة حتى سقطت راية المشركين ، وتلاحق المؤمنون عائدين الى نبيهم ليجدوا أسارى هوازن مكتفين عنده وقد كفى الله المؤمنين القتال ..

وفى حميم المعركة يبصر صلى الله عليه وسلم بالصحابية الجليلة بنت ملحان قائمة على جمل زوجها ابى طلحة رضى الله عنه وقد أخذ منها الغضب لانفضاض الناس من حوله فتقول له : بابى أنت وأمى يا رسول الله .. اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك .. ولكنه لا يجاريها فى غضبها على أصحابه بل يقول لها : ان الله قد كفى واحسن يا أم سليم ..

- ٦ -

وكان رسول الله عائدا بالمؤمنين من تبوك ، حتى اذا وافى منى انفرد عن الجيش بناقته ، يقودها حذيفة ويسوقها عمار رضى الله عنهما ، فما ان وافى العقبة حتى فوجىء باثنى عشر ملثما يعترضون مسيرته ، ويريدون أن يزحموه للقضاء عليه ، فلما انتبه اليهم صرخ بهم ، فأوقع الله فى قلوبهم الرعب وولوا هاربين .

ويقترح رفيقاه الجليلان أن يبعث رسول الله الى عشائر هؤلاء المنافقين بامرهم ليقتلوهم ويأتوه برؤوسهم ... ولكنه يرفض ذلك الرأى قائلا : لا .. اكره أن تتحدث العرب أن محمدا قاتل بالقوم حتى اذا أظهره الله بهم أقبـــل عليهم يقتلهم ! ..

ولم يكتف صلوات الله وسلامه عليه بالسكوت عن المتآمرين ، بل اعلن لصاحبيه أسماءهم وأخذ عليهم العهد بكتمانها .. حتى كان الصحابة يطلقون على حذيفة بعد أخيه عمار رضى الله عنهما ((صاحب السر الـــذى لا يعلمه غيره ..))

ولاجرم ان مثل اولئك الغادرين جديرون بحكم الموت ، ولكن حكمة رسول الله أبعد رؤية من تفكير صاحبيه ، لان الإعراض عنهم أعود بالخير على الدعوة من أخذهم بالعقوبة . هذا الى أن القاصين من الناس الذين لم يحيطوا أنه ضرب من الاحتياط لحماية السلطة ممن تخشى معارضـــته إياها ، على طريقـــة الطغاة الذين ما أن يبلغوا غايتهم من التســـلط حتى يفرغوا لتصفية شركائهم فيـــه ..!

- ٧ -

وفتح الله على رسوله مكة ، فدخلها منتصرا عزيزا ، مطلق التصرف فى اهلها وأرضها ، ولكن ذلك لم يزده الا تواضعا لربه وخشوعا لجلاله ، حتى إن لحيته لتكاد تمس واسطة رجله تذللا لله ... فكان فعله هذا درسا خـــالدا للفاتحين من امته ، تعلموا منه كيف يتلقون نصر الله بمزيد من التواضـــع والانكسار لعظمته سبحانه .. بخلاف الجبارين من اهل الجاهليـــة الاولى والآخرة ، الذين يستقبلون كل نجاح يحرزونه بمزيد من الطغيان .

وفى المسجد الحرام يحتشد اعداء رسول الله ، الذين أخرجوه من احب ارض الله اليه ، وقد استحوذ عليهم الهـــول ، وحضرهم كـــل ما اقترفوه فى حقه وحق أصحابه من سوابق العدوان ، ولبثوا ينتظرون عاقبة ما جنت ايديهم والسنتهم .

ويشرف رسول الله من على باب الكعبة ، التى طالما دنسوها بارجاس الشرك والبغى ، فيحمد الله ويمجده ثم يقول : ((يا معشر قريش .. لا تثريب عليكم اليوم .. يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . اذهبوا فأنتم الطلقاء)) ..

— ٨ —

ويستأثر الله بابراهيم ابن رسوله ، وقد رزقه على شوق الى الولد ، وتقارب من أواخر العمر .. ويشاء ربه جلت حكمته أن يوافق ذلك موعد كسوف الشمس .. فتسير الظنون فى الناس أن الله قد كسفها تكرمة لنبيه ، فما يكاد يعلم خبر ذلك حتى يدعو الناس الى صلاة جامعة ، يعلمهم بها (أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته) وأن عليهم اذا واجهوا مثل هذه التغيرات الكونية أن يجددوا صلتهم به سبحانه ، فيستقبلوها بالصلاة والذكر .. فتكون تلك الظاهرة الفلكية مناسبة صالحة لتعميق شعور المسلمين بفضل ربهم وعظيم رعايته وحكمته ..

— ٩ —

وذات يوم تضل ناقته صلى الله عليه وسلم اثناء عودته من تبوك ، وينطلق بعض صحابته للبحث عنها . فينتهزها المنافق اليهودى ابن اللصيت فرصة للغمز من رسول الله ، حتى ليقول : أليس محمد يزعم أنه نبى ويخبركم خبر السماء ، وهو لا يدرى اين ناقته !! ..

وتبلغ مقالة الخبيث رسول الله فلا تثيره ولا تاخذه الحمية ، بل لا يزيد على أن يقول : ((انى والله ما أعلم الا ما علمنى الله .. وقد دلنى عليها ، وهى فى هذا الوادى فى شعب كذا ، قد حبستها شجرة بزمامها ..))

—●—

وبعد .. فتلك مشاهد خاطفة من سيرة الهادى الامين صلوات الله وسلامه عليه ، تعرض بعض جوانب العظمة من حياة هذا القائد الذى أدبه ربه فاحسن تاديبه ، وزوده من الكمالات بالذخر الذى لم يجتمع لسواه من خلقه ، ثم قدمه الى الانسانية مبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . وهيهات للانسان أن يعرف طريقه للاستقرار ما لم يتخذ منه الأسوة الحسنة فى كل ما ياتى وما يذر ، ويجتنب مخالفته فى كل ما نهى عنه او زجر .

فاللهم ردنا الى حماه ، ووفقنا الى اقتفاء خطاه . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، انك انت الوهاب .



للدكتور احمد الشرباصى

نشرت الصحف اخبار جريمة خسيسة لجأ اليها الصهاينة اللئام ، للاعتداء على كرامة البشرية ، وللاستخفاف بالحقوق الانسانية ، وهى أن بعض اطبائهم سمحت لهم دناءتهم أن يقوموا بعمليات جراحية ، ينقلون فيها اجزاء من اجسام بعض الجرحى الأسرى لديهم ، الى أفراد منهم يحتاجون الى هذه الاعضاء .

وقد ذكرتنا هذه الجريمة بما جاء فى بعض كتبهم المقدسة — فى نظرهم — من أن القائد اذا انتصر على مدينة واحتلها ، فعليه أن يقتل جميع ذكورها بالسيف ، وان يأخذ من فيها من النساء والاطفال والبهائم غنيمة له ، فقد جاء فى الاصحاح العشرين من كتاب التثنية هذه العبارة :

« حين تقرب من مدينة لكى تحاربها ، استدعها الى الصلح ، فان اجابتك الى الصلح ، وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ، وتستعبد لك ، وان لم تسالمك ، بل عملت معك حربا ، فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم ، وكل ما فى المدينة وكل غنيمتها فتغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب الهك » .

وهذه الدناءة ينبغى أن تذكرنا بفضل الاسلام العظيم على العالمين ، لانه صان كرامة الانسان من العدوان ، حتى قال رسول الله صلوات الله

وسلامه عليه : « الانسان بنيان الله ، ملعون من هدم بنيانه » ، ولانه ضمن للأسرى حقوقا يجب أن تكون قدوة للمتحاربين أجمعين ، وهذه الحقوق يجب علينا أن نعيها ، وأن نعلنها ، ليستبين لكل عاقل أن فضل الاسلام على الانسانية عنوان فخار وتمجيد : **« صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ، ونحن له عابدون »** (البقرة ١٣٨) .

واذا كانت اليهودية تدعو المنتصر الى قتل كل الأسرى من الرجال ، والى استعباد النساء والاطفال ، فان القرآن الكريم يمنع هذا العدوان بعد انتصار الحق ، وكسب المعركة بحرب صارمة لا بد منها ، للمقابلة بالمثل ، ولرد العدوان وردع الطغيان ، فيقول القرآن : **« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء »** (محمد ٤) أثخنتموهم : أوسعتموهم قتلا وجرحا . وشدوا الوثاق : احكموا قيد الاسرى منهم . ومنا : اطلاق الاسرى بلا مقابل .

وأعطى الاسلام الحق لولى المسلمين فى أن يعفو عن هؤلاء الأسرى ، اذا رأى المصلحة العامة فى ذلك . أو يأخذ منهم الفداء اذا احتاج المسلمون الى ذلك .

ونحن لا ينبغى لنا أن ننسى موقف العفو الرائع من النبى صلى الله عليه وسلم ، بعد أن انتصر انتصاره الباهر فى فتح مكة ، حيث قال للمهزومين المدحورين من مشركى مكة : ما تظنون أنى فاعل بكم .. ؟

فقالوا فى طمع ورجاء : خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم .

قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وعفا عنهم ، وقد كان قادرا على أن يعمل فيهم السيف كما تردد كتب اليهود .

وعلم النبى اتباعه ان الانتصار مع التمكن من الاسرى لا ينبغى أن يدفعهم الى الاسراف فى اسالة الدماء ، بل وذكرهم بالانسانية وحقوقها المشتركة ، فقال لهم فى شأن الاسرى الأرقاء : « ان الله تعالى ملككم اياهم ، ولو شاء لملكهم اياكم » .

وقرر أن من سيطر على أسير ، واعطاه عهد الأمان على حياته ، فلا يجوز له ان يهدر عهد الأمان معه بعد ذلك . فقال عليه الصلاة والسلام : « من أمن رجلا على نفسه فقتله فأنا برىء من القاتل » .

وروى تاريخ الاسلام ما كان من أمر (الهرمزان — وهو أحد أكابر الفرس — وقد أسره أبو موسى الأشعرى ، وبعث به الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان الهرمزان ذكيا داهية ، فاعتصم بالصمت أمام الخليفة ، فقال له عمر : تكلم . فلم يتكلم ، فعاد عمر يقول له : تكلم لا بأس عليك ، وكان عمر يهم بقتله لما ارتكبه ، فلما سمع الهرمزان كلمة عمر له : « لا بأس عليك » طلب ماء ليشرب ، فجاءوا له بالماء ، وامسك بالماء وقال لعمر : أانا آمن حتى اشرب هذا الماء .. ؟ فقال له عمر : اشرب فلا بأس عليك .

فسكب الهرمزان الماء على الارض . وهنا قال أنس لعمر : قد امنته بقولك لا بأس عليك .

فلم يستطع عمر أن يمسه بسوء ، خضوعا لما أعطاه اياه من أمان . وأسلم الهرمزان بعد ذلك .

—●—

وزاد الاسلام فى كرامته وسماحته مع الاسرى ، فأوجب الاسلام على المسلم أن ينفق على أسيره ، وان يطعمه مما يأكل ، وأن يكسوه مما يلبس ، وألا يكلفه فوق طاقته فى العمل . وها هو ذا القرآن المجيد يصف الاخيار الأبرار من عبـاد الرحمن فيقول عنهم فى سورة الانسان ٨ ، ٩ : « **ويطعمون الطعـام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا** » .

فالقرآن المجيد هنا يدعو المسلم الى أن ينظر الى الأسير نظرة العطف والرحمة ، لا نظرة التشفى والانتقام ، بعد أن صار أسيرا ضعيفا ، ولذلك عطفت الآية الكريمة (الأسير) على (المسـكين واليتيم) ، وهما ممن يستحقون المعونة والاشفاق .

وقال معلم الانسانية سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام : « اتقوا الله فى الضـعيفين : المملوك والمرأة » . كما أن مما أوصى به قبل موته وصيته « بالصلاة وما ملكت أيمانكم » .

وحث الاسلام على الترفق بالرقيق حثا قويا بليغا حتى قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « لقد أوصانى حبيبى جبريل بالرفق بالرقيق حتى ظننت أن الناس لا تستعبد ولا تستخدم » .

وشجع الاسلام المسلم على أن يتفق واسـيره المملوك له على أن يكاتبه ، والمكاتبة هو أن يتفق المالك والمملوك على أن يؤدى المملوك قدرا معينا من المال لمالكه فى زمن معين ، فاذا فعل المملوك ذلك صار حرا . يقول القرآن الكريم عن ذلك فى سورة النور ٣٣ : « **والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم** » .

وبلغت سماحة الاسلام فى معاملة الأسرى مبلغا نبيلا كريما ، حيث منع التفريق فى الأسرى بين الوالدة وولدها ، حتى لا يتعرض الولد للضياع والحرمان من جهة ، وحتى لا تتعرض الأم للقلق والخوف على ولدها من جهة أخرى ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم مهددا من يفعل ذلك أقوى تهـديد : « من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين احبتـه يوم القيامة »(١) .

وزاد الاسلام سماحة حين علم ابناءه أن يكونوا مؤدبين مهذبين حتى فى خطاب هؤلاء الأسرى الأرقاء ، فقال الحديث الشريف : « لا يقل أحدكم : عبدى وأمتى ، وليقل فتاى وفتاتى » فكأن هؤلاء أفراد من أسرة ذلك المالك الآسر .

—●—

واذا كان التاريخ قد شهد ويشهد محاولات كثيرة من المجرمين الآسرين لحمل الاسرى على ترك عقيدتهم ، بطريق العسف والاكراه ، أو التهديد والوعيد ، أو الاعتداء والتعذيب ، فان الاسلام قد حرم هذا الاكراه ، وسد الباب فى وجه هذا العدوان ، فقال القرآن الحكيم فى سورة البقرة ٢٥٦ : **((لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم))**

وجعل القرآن المجيد الهداية الى طريق الحق والنور ، من عمل الله الخالق البارىء المصور ، فقال عقب الآية الماضية : **((الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون))**

وفى الوقت نفسه وجه القرآن الى ترغيب الأسرى الضالين عن الحق الشاردين عن طريق الصواب فى الاهتداء الى شريعة العدل والنور ليسعدوا ويفوزوا وتصير لهم كرامة الاسلام وحقوق المسلمين فقال الحق عز من قائل فى سورة الأنفال (٧٠) **يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ، ويغفر لكم والله غفور رحيم .**

وفى الوقت نفسه حذر الله هؤلاء اللئام الأسرى أن يخدعوا او يخونوا ، فقال عقب ذلك : **((وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم))** (الأنفال ٧١) .

وها هو ذا سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول فى هذا المجال ((عجب الله من قوم يدخلون الجنة فى السلاسل)) . وهو يريد بهذا — والله اعلم بمراده — ان من الأسرى المقيدين بالأغلال ، من يشرح الله صدره للإسلام فيسلم ، فيستحق رضوان الله عليه ، فيصير الى نعيم الجنة ، وقد كان قبل ذلك مقيدا بسلاسل الأسر والاسترقاق .

جاء فى كتاب ((فتح البارى)) لابن حجر : ((قال : خير الناس للناس يأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الاسلام .

قال ابن الجوزى : معناه أنهم أسروا وقيدوا ، فلما عرفوا صحة الاسلام دخلوه طوعا فدخلوا الجنة ، فكان الاكراه على الأسر والتقييد هو السبب الأول ، وكأنه أطلق على الاكراه التسلسل ، ولما كان هو السبب فى دخول الجنة أقام المسبب مقام السبب .

وقال الطيبى : ويحتمل أن يكون المراد بالسلسلة الجذب الذى يجذبه الحق من خلص من عباده من الضلالة الى الهدى ، ومن الهبوط فى مهاوى الطبيعية الى العروج للدرجات)) (٢) .

وقد اتسعت سماحة الاسلام فى هذا المجال حتى شملت عبيد المشركين انفسهم ، فقد كان من هدى الرسول عليه الصلاة والسلام أن يعتق عبيد المشركين ، اذا تركوهم ، وهاجروا الى المسلمين مهتدين ، وكان النبى صلوات الله وسلامه عليه يقول فى شأن هؤلاء الأرقاء : ((هم عتقاء الله عز وجل)) .

— ● —

ولكن .. ليس التسامح مع الاسرى امرا يفيد معنى التخـــاذل أو التهاون أو الضعف في مقاتلة الأعداء ، وانما هو امر يأتي مع القوة ، وبعد اعطاء المعركة الواجبة حقها من القوة والشدة والصرامة ، فالقرآن الكريم يطالب بالشدة فى أثنـــاء المعركة اذا لزمت ووجبت ، حتى لا يطمع فينا الأعداء ، أو يستخف بنا الطغاة .

ولذلك قال الحق جل جلاله كما عرفنا : « فاذا لقيتم الذين كفروا (أى فى المعركة) فضرب الرقاب ، حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق » . ثم ماذا عقب هذا .. ؟ « فاما منا بعد واما فداء ، حتى تضع الحرب أوزارها » . وذلك لأن الحرب فى نظر الاسلام ضرورة تقدر بقدرها ــ كما يعبر بعض المفسرين ــ وليست الحرب فى نظره ضراوة بسفك الدماء ، ولا تلذذا بالقهر والانتقام ، ولا توسعا فى العلو والسيطرة ، ولذلك خيرنا الله تبارك وتعالى ــ بعد استكمال النصر على الاعداء بالقوة والسلاح ــ بين المن على الأسرى واطلاق سراحهم بفك الوثاق ، أو بالفداء بالمال ، أو تبادل الاسرى ، ولم يأذن الله سبحانه فى هذه الحال بقتلهم ، أو التمثيل بهم ، أو القسوة عليهم دون مسوغ أو تبرير .

السماحة مع الاسرى تكون بعد رد العدوان وردع الطغيان ، واتمام النصر ، ولذلك يقول القرآن المجيد فى سورة التوبة (١٢٣) : **« يا أيها الذين آمنــوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظـــة ، واعلموا أن الله مع المتقين »** .

ويقول فى موطن آخر : « يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير » .

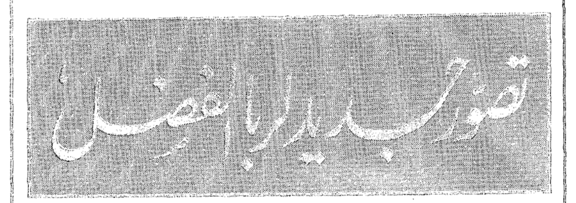
واخيرا .. يا اتباع محمد عليه الصلاة والسلام : ادرسوا جيدا تعاليم دينكم فى الحرب والسلم ، وطالبوا العالم كله بأن يفتح عيون أبنائه ليروا الفرق الواسع بين سماحة الاسلام ودناءة أعداء الاسلام . وكونوا كمـــا يريد لكم ربكم دائما : أقوياء أعزاء عنــد القتال والصـــدام ، وكونوا شرفاء سمحاء بعد أن تستكملوا النصر ، وبذلك يتضاعف الأجر ، ويعلو الذكـــر ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

---

(١) ذكره الامام ابن القيم فى كتابه (زاد المعاد) ج ٢ ص ٦٨ المطبعة المصرية .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر ، ج ٦ ص ١٤٥ طبعة السلفية .

بحث في الاقتصاد الإسلامي



للدكتور احمد صفى الدين عوض

١ ـ مقـــدمة :

اجمع المسلمون على تحريم الربا فى الجملة وان اختلفوا فى التفاصيل ، واتفقوا على انه نوعان : ربا الفضل وربا النسيئة . اما ربا النسيئة فهو ربا الجاهلية ، وصورته أن يكون للرجل على الرجل الدين فيحل الدين فيقول له صاحب الدين : تقضى او تربى أى تدفع لى ما عليك أو تزيدنى لو أمهلتك . فأبطله الله عز وجل بقوله : **(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين)** وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم فى خطبته يوم عرفة فى حجـة الوداع : وربا الجاهلية موضـوع ، واول ربا اضعه ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله .

أما ربا الفضل فهو ربا بينه النبى صلى الله عليه وسلم وهو موضوع بحثنا .

٢ ـ التعريف بربا الفضـــل :

الأصل فى هذا الموضوع هو الكثير من الأحاديث الصحيحة التى رواها اكابر الصحابة رضوان الله عليهم عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ونكتفى هنا بذكر اثنين منها فقط : ـ

الأول عن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشـــعير بالشعير ، والتمـر

بالتمر، والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد ، فاذا اختلفت ـــ فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد » . رواه أحمد ومسلم . وللنسائى وابن ماجه وأبى داود نحوه .

الثانى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، وَالتمر بالتمر ، والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطى فيه سواء » . رواه أحمد والبخارى .

ولقد أجمع المسلمون على تحـــريم الربا فى الأشياء الستة المنصـــوص عليها ، وقال أهل الظاهر النافين للقياس ان الربا محصور فيها فقط ، وقال جمهور أهل القياس أنه يجرى فى غيرها وأنه متعد منها الى سائر الأشـــياء التى تشاركها فى العلة ، ولكنهم اختلفوا فى تحديد تلك العلة اختلافا لم يسبق له مثيل فى تاريخ الفقه الاسلامى .

قال أبو حنيفة وأحمد فى احدى الروايتين عنه : العلة فى الذهب والفضة هى الوزن وبذلك أجريا الربا فى الحديد والرصاص والنحـــاس وغيرهـــا من الموزونات ، وقال مالك والشافعى وأحمد فى الرواية الأخرى : هى كونهما جنس الأثمان فلا يتعدى الربا منهما الى غيرهمـــا من الموزونات وغيرهـــا لعدم المشاركة .

أما الأصناف الأربعـــة الباقية ، فان الخـــلاف فى علتها كثير جدا بين المذاهب وفى داخل المذهب الواحد ، وسنكتفى بذكر أشهر الأقوال فيها .

قالت الحنفية : هى الكيل ، وقالت المالكية : هى الاقتيات والادخار وما يصلح به الطعام المتقوت ، وقالت الشافعية : هى الطعمية (بضم الطاء) أى مجرد كون الشيء مطعوما ، وقال فريق من الحنابلة كقول الحنفية وقال بقيتهم كقول الشافعية . وقالت العترة بمثل ما قالت الحنفية فى الأصناف الستة . وقال ربيعة : كل ما يجب فيه الزكاة يحرم فيه الربا فلا يجوز بيع بعير ببعيرين .

واتفق العلماء على أنه لا يجوز بيع الربوى بعضه ببعض متفاضلا سواء كان يدا بيد أو أحدهما مؤجلا ، وعلى أنه لا يجوز التفرق قبل التقابض اذا باعه بجنسه أو بغير جنسه مما يشركه فى العلة كالذهب بالفضة والبر بالشعير ، وعلى جواز بيع الربوى بربوى لا يشاركه فى العلة متفاضلا ومؤجلا كبيـــع الذهب بالحنطة وبيع الفضة بالشعير ، وعلى جواز التفاضل عند اختـــلاف الأجناس اذا كان يدا بيد كصاع تمر بصاعى شعير .

ولقد أحصى ابن حزم الظاهرى فى باب البيوع من كتابه « المحلّى » (الجزء الثامن ، ص ٤٦٧ ـــ ٥١٨) جميع علل الفقهاء فى تحريم ربا الفضل وأفاض فى ايراد حججهم وتفنيدها بمنطق رصين شابه بمهاترات وددنا لو ترفع عنها .

وكان ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما يعتقدان جواز بيع الجنس بعضه ببعض متفاضلا اذا كان يدا بيد ، وأن الربا لا يحرم فى شىء من الأشياء الا اذا كان نسيئة أى مؤجلا ، وكان معتمدهما الحديث المتفق عليه عن أسامة ابن زيد رضى الله عنه عن النبى صـــلى الله عليه وسلم : انمـــا الربا فى

النسيئة . ثم رجعا عن قولهما هذا عندما بلغهما حديث النبى عن التفاضل فى غير النسيئة . وذكر مسلم رجوعهما صريحا حين بلغهما حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وقد أجمع المسلمون على ترك العمل بظاهر حديث أسامة ..

٣ ـ الجهود التى بذلت لحسم الخلاف :

نجد فى العصور الماضية وفى عصرنا هذا رجالا بذلوا مشكورين جهودا متواصلة لحسم الخلاف القائم حول العلة فى ربا الفضل ، ولكنهم لم يسلموا أنفسهم من الخلاف . فمنهم الذين استصوبوا رأى أهل الظاهر حين رأوا ضعف العلل التى استنبطها الفقهاء علاوة على اضطرابها ، ومنهم المتشبثون برأى ابن عمر وابن عباس ومن تابعهما غير ملتفتين الى رجوعهما أو الى اجماع الأمة ، ومنهم من رجح احدى العلل التى قال بها أحد الأئمة على ضوء الحكمة التى انكشفت له . وأشهر من سلك هذا الطريق أبو حامد الغزالى وابن رشد وابن قيم الجوزية رحمهم الله . فقال الأول ان الحكمة فى منع التفاضل بين جيد الصنف الواحد ورديئه هى اسقاط الشارع الحكيم غرض التنعم فى المطعومات لتكافؤ الجيد والردىء منها فى أصل الفائدة ، ومن هنا بدت له صحة علة الشافعى أى أن العلة فى الأصناف الأربعة كونها مطعومة . وقال الثانى هكذا : لما كانت الأشياء المكيلة أو الموزونة لا تختلف كل الاختلاف وكانت منافعها متقاربة ، ولم تكن حاجة ضرورية لمن كان عنده منها صنف أن يستبدله بذلك الصنف بعينه الا من جهة السرف كان العدل فى هذه الأشياء أن تباع بعضها ببعض متساوية فى الكيل أو الوزن اذ كانت لا تتفاوت فى المنافع ، ومن ثم ذهب الى ترجيح علة الحنفية فى الأصناف الستة أى كون هذه الأشياء موزونة أو مكيلة . والحقيقة أن عبارة ابن رشد فى غاية الغموض وما ذكرناه هنا هو غاية ما فهمناه منها . وقال ثالثهم ابن القيم الربا نوعان : جلى وهو ربا النسيئة الذى حرم قصدا ، وخفى وهو ربا الفضل الذي حرم وسيلة وسدا للمسالك التى تقود الناس الى ربا النسيئة . وصرح ابن القيم بتصويبه لعلة المالكية فى الأصناف الأربعة أى كونها أقوات الناس وما يصلحها .

ولقد ارتضى الباحثون المعاصرون قول ابن القيم فى حقيقة ربا الفضل ، ولكنهم لم يتابعوه فى ترجيح علة المالكية كما لم يحاولوا استصواب أى علة معلومة أو الكشف عن علة جديدة .

٤ ـ رأينا فى مسلك الفقهاء :

من السهل علينا أن نعبر عن رأينا فى منهج الفقهاء الذين وفقوا فى الكشف عن العلل المختلفة باستخدام اصطلاح شائع فى الرياضيات الحديثة .

اتفق علماء الرياضيات فى وقتنا هذا على اعطاء لفظة « مجموعـــة » أو « فئـــة » معنى أضيق مما عرفه الناس عامة ، فقالوا المجموعة أو الفئة عدد من الأشياء تشترك جميعها فى خاصية أو أكثر تميزها تمييزا لا لبس فيه ولا غموض عن سائر الأشياء الأخـــرى . مثال ذلك لو تحدثنا عن مجموعـــة الأشياء التى أجمع المسلمون على تحريم الربا فيها فاننا نقصد الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح ولا شيء سواها حيث أن الخاصية المميزة لها عن ســـائر الأشياء هى تحريم الربا فيها باجماع المسلمين ، وأما غيرها فلم يجمع المسلمون عليها . ويسمى الرياضيون الأشياء المكونة للمجموعة أى التى تحويها المجموعة أعضاء أو عناصر المجموعة ، فنقول على سبيل المثال الشعير عضو أو عنصر فى مجموعـــة الأشياء التى يجـــرى فيها الربـــا بالاجماع . وبهذا الاصطلاح السائد عند الرياضيين نقول ما يلى :

نلاحظ أن جميع الفقهاء درجوا على تقسيم الأشياء الستة التى خصـــها النبى صلى الله عليه وسلم الى مجموعتين مستقلتين أو أكثر من ذلك . فنراهم وضعوا الذهب والفضـــة فى مجموعة منفصلة ، ثم عمدوا الى الأربعـــة الباقية فتارة اعتبروها مجموعة واحدة ، ومرة جعلوها مجموعتين فوضـــعوا البر والشعير والتمر فى واحدة ، والملح فى أخرى ، وحينا وزعوها بين ثلاث مجموعات تشمل أولاها البر والشعير ، والثانية التمر ، والثالثة الملح . وبعـــد هذا التوزيع أو ذاك نظروا الى كل مجموعة كأنها ممثلة تمثيلا صادقا لمجموعة كبرى تتكون من عناصر تشترك جميعها فى صفة أو صفات تميزها عن بقيـــة الأشياء ، ثم اعتبروا هذه الصفة أو تلك الصفات المميزة العلة المانعة للتفاضل فيها . ولعل هذه الطريقـــة التى اتبعوهـــا فى تقسيم الأصـــناف المنصوص عليها هى من أهم العوامل التى حجبت الحقيقة التى انكشفت لنا وأدت الى اختلاف وجهات النظر بينهم والله أعلم .

٥ — هـــل من علة جـــديدة ؟

أن الذى استرعى انتباهنا هو ذكر الشارع الحكيم للأشياء الستة من غير تفريق بينها ، فلذلك لاح لنا أنه ربما كان الأصوب أن ينظر اليها كعناصر فى مجموعة واحدة لا غير ، وأنها تشترك جميعا فى خاصية تميزها عن سائر الأشياء الأخرى . وبدا لنا أيضـــا أنه لو عثرنا على هذه الخاصية المميزة لاستطعنا أن نقول هى علة التحريم وأن الربا يجرى فى كل الأشـــياء التى تتوافر فيها هذه الخاصـــية .

واذا استعرضنا الصفات التى يمكن أن تكون مشتركة بين جميع الأصناف الســـتة لظهر لنا أن الأمر الذى يستحق البحث هـــو احتمال استخدام البر والشعير والتمر والملح كنقود سلعية فتكون مشاركة للذهب والفضة فى أداء وظيفـــة النقود . فيجب علينا أولا أن نثبت أن الأصناف الأربعة كانت فعـــلا نقودا سلعية . وثانيا أن نبحث عن حكمة القيـــود التى وضعها الشارع عند

التعامل بالربويات . وثالثا أن ننظر فيما يترتب على قولنا أن علة الربا فى الأصناف الستة هى النقـــدية .

٦ – كيفية التعامل بالذهب والفضة فى العهد النبوى :

يظهر لنا من وصف المقريزى لنقود الجاهلية وصدر الاسلام أن النبى صلى الله عليه وسلم وجد الناس يتعاملون بالذهب والفضة وكان بعض هذين المعدنين مسكوكا وبعضهما تبرا أى غير مسكوك . وكانت القطع المسكوكة التى ترد عادة من الروم والفرس تختلف فى الوزن خاصة الدراهم من الفضة لذلك تواطأ الناس على صنع معلومات لوزن المعدنين وسـموا زنة واحـدة منها من الفضة مسكوكة كانت أو تبرا : درهما ، كما سموا زنة صنجـة أخرى من الذهب مسكوكا كان أو تبرا : دينارا . والثابت أنهم كانوا يرجعون دائما الى الميزان لتقدير عدد الدراهم والدنانير ولا يعولون أبدا على عد القطع المسكوكة لاختلاف أوزانها .

ولما بعث النبى صلى الله عليه وسلم أقر الناس على ما كانوا عليه ، وحسم ما قد ينشب من نزاع عند الوزن بأن جعل صنج مكة الوحدات القياسية التى يجب أن يرجع اليها كما أمر بالرجوع الى مكيال المدينة عند الاختـلاف فى الكيل بقوله صلى الله عليه وسلم : « المكيال مكيال أهل المدينة ، والوزن وزن أهل مكة » (رواه أبو داود والنسائى والبزار وصححه ابن حبان والدار قطنى جميعهم عن ابن عمر . وفى رواية عن ابن عباس مكان ابن عمر) .

وقطع النبى صلى الله عليه وسلم مادة الخلاف حول نوعية الذهب عند التبادل بأن ساوى بين جميع أنواعــه من مضروب ومنقوش وجيــد ورديء وصحيح ومكسر وحلى وتبر وخالص ومغشوش ، وكذلك فى الفضة . وبهذا الأمر الواضح الصريح أسقط الشارع الحكيم القيمة الذاتية للمعدنين دفعــة واحدة وأصبغ عليهما صفة التجانس اللازم توافرها فى النقود المعدنيــة أو النقود السلعية لكى تكون مقياسا ثابتا للقيمة ، وبذلك استطاع الدرهم والدينار أن يؤديا الوظيفتين الرئيسيتين والثانويتين للنقود . أما الوظيفتان الرئيسيتان فهما : (أ) وسيط للمبادلة (ب) مقياس للقيمة ، وأما الوظيفتان الثانويتان فهما : (جـ) مستودع للقيمة (د) مقياس للدفع المؤجل .

ولو لم يحرم النبى صلى الله عليه وسلم التفاضل فى المعدن الواحــد بسبب الاعتبارات النوعية ، ولو لم يأمر صلى الله عليه وسلم باستعمال وحدات قياسية معينة عنــد الوزن وهى صنج مكة لاستفاد من الوضع المضطرب أهل الغش الذين يعرفون جيدا خصائص المعادن والفروق بين الصنج المختلفة ، وذلك لأنه فى وسع الحاذق منهم أن يقنع الناس بوجــود تفاوت حقيقى أو متوهم فى نقاء الكميات المتبادلة من الذهب أو الفضة فيأخذ منهم مقادير أكبر مقابل مقادير أقل بحجة أنه أعطى جيدا وأخذ رديئا بينما يعلم تماما أن القوة الشرائيــة لكل أنواع الذهب والفضة واحــدة فى عين البسطاء . وبهــذا الأسلوب المحبب للذين لا يرقبون فى ضحاياهم قرابة ولا ذمة استطاع بعض

الأفراد خاصة اليهود الذين مارسوا تزييف النقود وتعويج الموازين أن يكثروا أموالهم بالباطل . ولو أخذنا برأى ابن رشد القائل : يظهر من الشرع أن المقصود بتحريم الربا انما هو لمكان الغبن الكثير فيه . لكان من حقنا أن نقول لقد كان ربا الفضل ربا حقيقيا وحرم قصدا لا وسيلة . وان الفارق الوحيد بينه وبين ربا النسيئة هو أن المرابى قد استغل فى الأول جهل الناس ، وفى الثانى عجزهم عن سداد الدين عند حلوله .

٧ — النقـود فى المجتمعات المتخلفة :

تعطينا معرفة النظم الاقتصادية التى كانت موجودة الى وقت قريب جدا فى المجتمعات البدائية التى تسودها الأمية فكرة صادقة عما كان سائدا عند العرب الأميين خاصة أهل البادية حينما بعث النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم تتضح للقارىء صحة ما ذهبنا اليه أى أن البر والشعير والتمر والملح كانت نقودا سلعية (أو سلعا نقدية كما يقول آخرون) . والمقصود بالسلعة النقدية أى سلعة يستخدمها أفراد مجتمع بدائى لقياس قيم السلع الأخرى . وغالبا ما نجد أكثر من سلعة نقدية فى نفس المجتمع .

مثال ذلك ما كان شائعا بين أفراد احدى القبائل التى تعيش فى جزر الفلبين من استخدامهم للأرز الذى هو غذاؤهم الرئيسى والخنازير والجواميس وقلادات الذهب والخرز والأجراس والجرار المملوءة بالخمر المصنوع من الأرز ونوع خاص من البطاطين لتكفين موتاهم كسلع نقدية . وتستخدم بعض قبائل الكنغو كنقود سلعية قضبانا من الحديد وعددا من الأشياء المصنوعة من هذا المعدن مثل الفؤوس والخواتم . ويعتبر الملح سلعة نقدية عند بعض القبائل التى تعيش فى أقليم كتانجا ، وكان معتبرا كذلك فى أواسط سيراليون حتى عام ١٩١٣ الذى تم فيه انشاء خط السكة الحديد وفقد الملح مكانته بسبب الكميات الكبيرة التى أصبحت تصل منه الى الأسواق .

ولقد كان شعب الولف الافريقى المسلم الذى يعيش فى المنطقة الممتدة بين نهرى السنغال وغامبيا يستعمل الحبوب والثياب التى يصنعها من القطن المحلى كنقود سلعية . وكذلك كان شائعا فى كثير من أجزاء السودان استعمال الذرة والثياب المصنوعة محليا كنقود سلعية بجانب الريال الاسبانى، كما استعمل سكان الجزء الغربى منه بجانب الذرة الدخن قطعا صغيرة من الحديد يصنعون منها الرماح والمدى والبلط وما اليها لنفس الغرض . أما فى الصفقات الكبيرة فقد كانوا يتبايعون بالبقر . وكانت الخاصية المميزة للثياب التى استخدمها السودانيون وشعب الولف كنقود سلعية أنها ثابتة الطول والعرض .

٨ — طبيعة النقود السلعية :

يمكننا أن نلخص ما يهمنا من آراء الباحثين الذين قاموا بدراسة النظم الاقتصادية فى المجتمعات البدائية فيما يلى : —

أولا — تعتبر النقود السلعية مرحلة انتقالية بين نظام المقايضة البحتة ونظام النقود المعدنيـــة .

ثانيـــا — يجب التحقق من مكانة الشىء فى أى نظام اقتصادى قبـــل اعتباره نقـــدا أو مجرد سلعة سوقية ، فان كان يستعمل لقياس قيم السلع الأخرى أو يستبدل بسلع مختلفة أو يعطى مقابل خدمة فهو نقد حتى لو استخدم أحيانا فيما يتصـــل بالسحر أو الزينة .

ثالثـــا — يعتبر الشىء سواء كان معدنا أو حجرا أو صـــدفا أو سلعة استهلاكية أو غير ذلك نقدا طالما استخدم فى الدفع مقابل الأشياء الأخرى أو الخدمات المختلفة .

رابعـــا — زعم كارل بوخر (اقتصـــادى المانى عنى بدراسة التطـــور الاقتصادى فى أوروبا) أن نقد أى قبيلة هو تلك السلعة التجارية التى لا تنتجها بنفسها بل تتحصل عليها بانتظام من القبائل الأخرى عن طريق المبادلة . ويعرف هذا القول بقانون بوخر .

خامســـا — من أهم خواص السلعة النقدية التجانس (أى أنها ذات طبيعة واحدة أو تكوين واحد حتى تبـــدو متشابهة تمـــاما مثل الثياب التى استخدمها شعب الولف والسودانيون) وسهولة النقل وقابلية التجزئة وبطء التلف ، كما أنها تشارك النقود المعدنية فى أداء الوظيفتين الأساسيتين (أى كوسيط للمبادلة وكمقياس للقيمة) ولا يشترط أن تشاركها فى القيام بالوظيفتين الفرعيتين (أى كمستودع للقيمة وكمقياس للدفع المؤجل) ، وذلك لأن السلعة النقدية تختلف من النقود المعدنية بكونها ذات قيمة ذاتية كغيرها من السلع السوقية التى يحكمها قانون الطلب والعرض ، وبأنها أسرع تلفا .

سادســـا — لم تكن المجتمعات البدائية التى استخدمت النقود السلعية فى معزل عن المجتمعات المتقدمة التى كانت تستخدم النقود المضروبة .

٩ — اثبات ان البر والشـــعير والتمر والملح كانت سلعا نقـــدية :

ذكرنا فى البنـــد الســـابق أن الحبـــوب والملح وبعض الحيوانات قد استعملت بالفعـــل كنقود سلعية فى بعض المجتمعات البدائيـــة المعاصرة ، فلذلك ليس بمستغرب لو استعمل العرب فى الجاهلية والاسلام هذه السلع الرئيسية الأربع وكذلك الابل والبقر والغنم كنقود سلعية ، بل من المؤكد أنهم فعلوا ذلك كما يفهم من العـــديد من الأحاديث النبـــوية والآثار المـــروية عن الصحابة الواردة فى استخدام هذه الأشياء كوسيط للمبادلة نظرا لقلة الذهب

والفضة بل لا نعدامهما فى بعض الأمكنة . روى البيهقى فى سننه أن عمرو بن حريش قال لعبد الله بن عمرو بن العاص : انا بأرض ليس فيها ذهب ولا فضة افأبيع البقرة بالبقرتين والبعير بالبعيرين والشاة بالشاتين . وهذا دليل على أن الناس فى هذا الموضع يتبايعون بالابل والبقر والغنم كما قلنا .

وقال الامام الشافعى رحمه الله : إن الحنطة تجوز بالحجاز التى بها سنت السنن جواز الدنانير والدراهم . وقال أيضا : إن الحنطة ثمن بالحجاز ، والذرة ثمن باليمن . وهذا يؤكد صحة ما قلناه عن السلع التى خصها النبى صلى الله عليه وسلم بالذكر ، أى أنها كانت سلعا نقدية .

١٠ ــ حكمة منع التفاضل فى الصنف الواحد :

يستفاد من بعض الأخبار الصحيحة أن نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن بيع الصنف بعضه ببعض متفاضلا جاء بعد فتح خيبر وعلمه بما كان يجرى فى سوقها الذى احتكره اليهود قرونا طويلة من بيع الصاع بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة ، من الصنف الواحد بحجة التفاوت النوعى بين المقادير المتبادلة . ومن هنا نشأت نسب متعددة لتقويم الأنواع المختلفة داخل الصنف الواحد الذى اتفق الناس على استخدامه كنقود سلعية . ومثل هذا الوضع يفرض على المتبايعين أن يتساويا فى معرفة قيم السلع السوقية بالنسبة لكل نوع من هذه النقود السلعية حتى لا يخدع أحدهما الآخر . وهذا شرط لا يمكن أن يستوفيه الا فئة قليلة من جمهور المستهلكين . ويبدو أن اليهود استغلوا هذا الوضع المربك للعرب الأميين عند التعامل معهم .

وعلى ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نفهم تحريم الشارع الحكيم للتفاضل فى الصنف الواحد بمثابة اصلاح للنظام الاقتصادى القائم يستهدف ابطال النسب المتعددة داخل كل سلعة نقدية لكى تصبح مقياسا موحدا سهل الاستعمال . ولولا هذا التحريم لأصبحت هذه النسب قوانين ثابتة وأحكاما شرعية راسخة تستمد قوتها من إقرار النبى صلى الله عليه وسلم للعاملين بها . ويمكننا أن نتصور كثرة النسب التى كان من المحتمل استنباطها بواسطة الفقهاء عن طريق القياس ، وربما اضطروا الى وضع جداول لها وبذلك تصير عملية التبادل عسيرة على أهل الورع من المتعلمين فضلا عن الأميين . وبعبارة أخرى لقد خدم التحريم جمهور المستهلكين بأن وضع فى أيديهم مقاييس بسيطة لتقويم السلع المختلفة وبذلك وفر عليهم كثيرا من الوقت الذى كان يضيع فى النزاع حول الفروق النوعية للنقود السلعية وحماهم من الغبن الذى كثيرا ما وقع عليهم نتيجة لجهلهم بهذه الأمور .

١١ ــ كيف رعى الشارع الحكيم مصالح الآخرين ؟

والذى يعقد الأمر ويحول دون رؤية الحكمة فى منع التفاضل فى الجنس الواحد بوضوح هو ان هذه الأجناس التى أصبحت تقوم بدور النقود هى فى

المقام الأول سلع استهلاكيــة لها قيم ذاتية تعتمد على درجاتها من الجــودة والرداءة وغير ذلك من الصــفات التى تهم المســتهلك . ونتيجة لتفضـيل المستهلكين بعض أنواع الجنس الواحد على بعض كان من الطبيعى أن يطالب أحد المتبايعين بأن يزاد فى الكيل أو الوزن بحجــة أنه أعطى أجود مما أخــذ ومن ثم ظهرت النسب المتعددة لمقايضة الأنواع . ولما كان منع التفاضل الذى يعنى النهى عن التعامل بهذه النسـب فى الجنس الواحد يرعى مصلحة جمهور المستهلكين الذين لا يعرفون الفوارق الدقيقة بين الأنواع بنفس القدر الذى يعرفه الملازمون للأسواق ومصلحة الأميين الذين لا يحسنون الحســـاب ، فان النبى صلى الله عليه وسلم رعى أيضا مصلحة المتبايعين عند وجود تفاوت حقيقى أو ظنى بين الأنواع المتبادلة بارشادهم الى الطريقــة المثلى التـى بينها لبلال فى الحديث المروى عن أبى سعيد الخدرى قال : جاء بلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمر برنى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أين هــذا ؟ قال بلال :كان عندنا تمر ردىء فبعت منه صاعين بصاع ليطعم النبى صلى الله عليه وسلم ،فقال النبى صلى الله عليــه وسلم عند ذاك : أوه عين اربا ، لا تفعل . ولكن اذا أردت أن تشترى فبع التمر ببيع آخر ثم اشتر به . (رواه البخارى ومسلم والنسائى) . والتمر البرنى أجود أنواع التمر كما يقال ، وربما كان تأوه النبى صلى الله عليه وسلم مبالغة فى الزجر أو تألما من سوء فعل بلال أو فهمه والله أعلم . فالطريق القويم هو أن يبيـع المرء ما عنده من تمرردىءبدراهم أو دنانير أو قمح أو أى سلعة نقدية أخرى ثم يشترى بثمنه التمر الجيد .

١٢ ــ مزايا هــذا التوجيــه النبوى :

والمهم فى الأمر هو ضرورة ادخال وسيط آخر للمبادلة لتقدير النســبة التى يجب أن يتم بها تبادل نوعى التمر بدل التوصل اليها مباشرة عن طريق المساومة كما فعل بلال . والسبب الذى استوجب هذا الاجراء هو أن التمر قد فقد فى هذه العمليــة وظيفته كسلعة نقدية وأصبح كل نوع منه سلعة سوقية مستقلة بذاتها فلذلك احتاج المتبادلان الى تقويم تمريهما بواســطة مقياس مستقل لكى يتوصلا الى نسبة عادلة للتبادل . وبعبارة أخرى ، لقد مكن الشارع الحكيم ميكانيكية (أو آلية) السوق من القيام بدور الحكم المحايد لتقدير النسبة التى يجب أن يتم على أساسها تبادل الجيد والردىء من التمر . وتم اعطاء الفرصة لآلية السوق لكى تعمل بواسطة السلعة النقدية الجديدة التى أدخلت فى العمليــة فأدت الى شطرها الى عمليتين مستقلتين واحالتها الى بيع منفرد وشراء منفرد .

وأقل ما يقال عن محاسن الطريقة التى أرشد اليها النبى صلى الله عليه وسلم حتى ولو أدت أخيرا الى نفس النسبة التى يتوصـــل اليها المتبايعــان مباشرة انها أبعد الوسيلتين الحاقا للغبن بأحدهما وأقلهما مضيعة للزمن علاوة على أنها صانت لكل سلعة نقدية وحدتها القياسية التى اكتسبتها بمنع بيع بعضها ببعض متفاضلا .

١٢ ــ حكمة منع بيع الأصناف الربوية نساء :

اجمع المسلمون على منع بيع الصنف الربوى بعضه ببعض نساء ، واتفقوا على منع النساء فى بيع الذهب بالفضة وفى بيع أحد الأصناف الأربعة الباقية بآخر منها . كما اتفقوا على جواز بيع احد الأصناف الاربعة بالذهب او الفضة نساء .

والسر فى ذلك ــ والله أعلم ــ هو منع الغبن الفاحش الذى قد يلحق بأحد المتبايعين على واحدة من هذه الصور . مع افتراض عدم التفاضل فى المقادير المتبادلة :

أولا ــ اذا باع شخص شيئا بجنسه مؤجلا فهو بمثابة دين للمشترى ، وعليه يجب مراعاة أحكام الديون فى هذه الصورة حتى لا يظلم أحد الطرفين الآخر كان يعطى رديئا ويشترط أن يرد اليه جيدا ، أو يعطى فى زمان رخصه ويشترط أن يرد اليه فى زمان غلائه .

ثانيا ــ اذا بيع الذهب بالفضة نساء ، أو أحد الأصناف الأربعة الباقية بآخر منها نساء فانه قد يلحق أحد الطرفين غبن كبير نتيجة للتقلبات المفاجئة فى أسعار هذه السلع بسبب او آخر مثل وصول قافلة محملة ببعض هذه السلع فتهبط قيمتها بنسبة كبيرة عما كانت يوم ابرام الصفقة ، أو اصابة المحاصيل بآفة فيرتفع ثمنها كثيرا عما كان يوم عقد البيع . اما جواز بيع الأصناف الأربعة بالذهب او الفضة فيرجع اساسا لثبات قيمة هذين المعدنين نتيجة لضآلة الكميات المستخرجة منهما سنويا بالنسبة لما هو فى أيدى الناس بحيث لا تؤثر الزيادة السنوية فى العرض الكلى لكل من هذين المعدنين تأثيرا يذكر . وبفضل هذه الخاصية التى تميز بها هذان المعدنان عما سواهما من انواع النقود السلعية أصبحا قادرين على قياس الدفع المؤجل .

ثالثا ــ القصد من منع التفرق قبل التقابض هو انجاز عملية التبادل بالسرعة التى تؤمن الطرفين من التقلبات المفاجئة للأسعار ، وفى جو من الثقة التى قد تتزعزع بسوء ظن احد المتبايعين بالآخر اذا غاب عن نظره بسلعته قبل أن يوفيه حقه خاصة اذا كان ممن عرفوا بالغش والخيانة مثل اليهود الذين وصفهم جل ثناؤه بقوله : ((**ومنهم من أن تامنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل**)) . (آل عمران : ٧٥) ، وفسر ابن عباس قوله عز وجل ((**ومنهم من إن تامنه بدينار لا يؤده اليك**)) بقوله : « ومنهم من تبايعه بثمن الدينار لا يؤده اليك » ، وفسر السدى قوله تعالى : ((**الا ما دمت عليه قائما**)) بقوله : « الا ما دمت قائما على رأسه بالاجتماع معه والملازمة له » والمعنى أنه انما يكون معترفا بما دفعت اليه ما دمت قائما على رأسه فان أنظرت وأخرت أنكر ، وكانوا يستحلون الخيانة بحجة انه لا اثم عليهم فيما أصابوا من أموال العرب وغيرهم من الأمم (١٤) .

أما عدم مفارقة أهل التقوى والصلاح بعضهم البعض حتى يتم التقابض فانما نفسره بحرصهم البالغ على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ما أمر وان لم يروا ما يستوجبه لأنهم يأتمنون بعضهم البعض ــ والله أعلم .

١٤ ـ كيف استغل اليهود سذاجة العرب ؟

ذكرنا فى حديثنا عن الذهب والفضة أن التمييز بين الجيد والردىء لا يعرفه العامة الا اذا كان الفارق فاحشا ، أما الفوارق الضئيلة فلا يدركها الا الحذاق من الناس . . وكذلك يمكننا أن نقول هنا لقد كان أهل المدينة أعرف الناس بأنواع التمر لكثرة النخيل عندهم ولهذا لم يروا بأسا فى بيع صاع من الجيد بصاعين من الردىء ، بينما كان أكثرهم لا يميزون بين البر والشعير حتى قالوا أنهما صنف واحد وهكذا اعتبرهما مالك ومعظم علماء المدينة . وهناك من عدّ الدخن والذرة والأرز صنفا واحدا بينما يستطيع أقوام التمييز والمفاضلة بين كثير من الأنواع التى يحويها أى واحد من هذه الأصناف التى اعتبرت صنفا واحدا . فاذا كان كثير من الناس لا يفرقون بين الصنفين أو الثلاثة ، فكيف نتوقع من الأعراب أن يميزوا بين أنواع التمر بنفس القدر الذى يفعله المتفكهون من أهل المدينة ؟

ويبدو أن يهود المدينة قد استغلوا لأقصى حد عدم تساوى معرفة المستهلكين بالمواد الغذائية الرئيسية بالطريقة الآتية أو مثلها . كانوا يأخذون من المستهلك القادر على التمييز بين أنواع التمر مثلا مقدارا مما يعرضه عليهم من الردىء يزيد بكثير على ما يعطونه له من الجيد وهو راض بذلك لأنه زاهد فيما عنده وراغب فيما لديهم ، ثم يبيعون هذا التمر الردىء بأسعار عالية للذين تتساوى كل الأنواع فى نظرهم . وقد يحدث عكس هذه العملية اذ كانوا يأخذون من البسطاء الأنواع المختلفة أو الأصناف المتباينة بسعر واحد على أساس أنها شىء واحد ثم ينوعونها أو يصنفونها ويبيعونها للقادرين على التمييز والمفاضلة بأسعار متفاوتة قد تصل الى ضعف ما اشتروا به . ولقد مارس بعض التجار السودانيين الذين لا يخشون الله العملية الثانية هكذا . اعتاد التجار الذين هم من شمال السودان وأكثر وعيا من غيرهم أن يسافروا ومعهم كميات من الملح الى المناطق المتخلفة التى يزرع فيها خمسة أنواع من الذرة التى هى الغذاء الرئيسى لأهل السودان ويشتروا هذه الأنواع المختلفة بسعر واحد من المزارعين البسطاء بدعوى أنهم لا يعرفون أى فرق بين نوع ونوع ولكنهم كانوا يضعون كل نوع على حدة ، وكانوا يعطونهم الملح ثمنا لذلك . ثم يرحلون الذرة الى مدن السودان الرئيسية ويبيعون كل نوع بسعر خاص وقد يبلغ سعر أجود الأنواع ضعف سعر أدناها .

١٥ ـ حقيقة ربا الفضل :

كان يهود المدينة يزيفون الذهب والفضة ويتلاعبون بالأوزان ، وكانوا ينتجون أجود أنواع التمر ليبيعوه للمستهلكين من ذوى السعة بأكبر مقدار من أبخس أنواع التمر الذى لا يرغبون فى الاحتفاظ به لا لشىء الا لكى يبيعوه للمساكين والمضطرين عندما يعز الطعام وتختفى من السوق الأنواع الجيدة بسبب استهلاكها أو ادخارها فى البيوت المتيسرة الحال للقوت ، فيطلبون منهم

أثمانا عالية ويملون عليهم شروطا قاسية اذا أعطوهم نسيئة.وكثيرا ما أهدرت تلك الشروط كرامة المضطرين وحريتهم اذ كانوا يرفضون أن يعطوهم أى دين ما لم يرهنوا عندهم سلاحهم بل نساءهم وأطفالهم كما ذكر ابن هشام فى قصة مقتل كعب بن الأشرف اليهودى من أنه طلب من أبى نائلة وكان أخاه من الرضاعة أن يأتيه هو وأصحابه بنسائهم أو أولادهم كرهائن لكى يبيعهم طعاما نسيئة .

ويشهد على صحة ما قلناه عن اليهود ما جاء على لسان نبيهم عاموس الثائر على ظلمهم للعباد بل لبنى جلدتهم ، فهو يقول لهم منذرا : اسمعوا هذا أيها المنهممون المساكين لكى تبيدوا بائسى الأرض . قائلين متى يمضى رأس الشهر لنبيع قمحا والسبت لنعرض حنطة . لنصغر الايفة ونكبر الشاقل ونعوج موازين الغش . لنشترى الضعفاء بفضة والبائس بنعلين ونبيع نفاية القمح . وقد أقسم الرب بفخر يعقوب أنى لن أنسى الى الأبد جميع أعمالهم .

تحكى لنا هذه العبارة أساليب المكر والخيانة التى ابتكرها تجار بنى اسرائيل لأكل أموال المساكين بالباطل . وتحدثنا أنهم كانوا فى غاية الجشع حتى تضايقوا من رأس الشهر ومن السبت لعدم السماح لهم بالعمل فى هذه الأيام . فكانوا ينتظرون بفارغ الصبر مجيء الأيام الأخرى ليزاولوا أعمالهم الذميمة من تصغير للمكيال المسمى بالايفة وتكبير للصنجة المسماة بالشاقل وتعويج للموازين حتى يأخذوا أكثر مما هو لهم ويعطوا أقل مما يجب عليهم . كانوا يستعملون الايفة لكيل القمح والحنطة عند البيع فلذلك صغروها لكى يظلموا الشارى بانتقاص حقه ، وكانوا يستعملون الشاقل لوزن المال المدفوع — ذهبا كان أو فضة — بواسطة الشارى فلذلك زادوا فى وزنه لكى يظلموا الشارى مرة ثانية بأن يأخذوا من ماله أكثر مما هو لهم . ولم يكتفوا بذلك بل ظلموه مرة ثالثة باستخدام الموازين المعوجة عن قصد .

يقول عاموس : إنهم استرقوا أخوانهم المساكين الذى عجزوا عن دفع ديونهم التى قد تكون ثمن نعلين فقط وباعوهم كعبيد بأبخس الأثمان ، وباعوا حثالة القمح ورذالته للمضطرين بأبهظ الأثمان . أخذوا كل ما فى أيدى الناس ظلما حتى أفقروهم وسلبوهم حريتهم .

وعلى ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نرى بوضوح أن بيع الرديء بالجيد من الصنف الواحد — خاصة التمر — متفاضلا قد مارسه يهود المدينة الذين احتكروا انتاج أجود أنواع التمر بقصد الحصول على أكبر مقادير من حثالته بأقل الطرق تكلفة مستغلين حاجة المستهلكين للأنواع الجيدة وزهدهم فى الأنواع الرديئة التى بأيديهم عند وفرة الطعام . وغرضهم من كل هذا هو كما قال عاموس أن يبيعوا هذه الحثالة للمضطرين بأبهظ الأثمان خاصة عندما يعز الطعام ولا يجدون شيئا سواه للبقاء على حياتهم .

ولا ريب فى أن الكسب الذى يحصلون عليه بهذا الأسلوب سحت محض بن هو صنو الربا لفداحة الغبن الذى فيه . ومن هنا يتضح للقارىء صحة ما ذهبنا اليه من أن ربا الفضل ربا حقيقى وليس مجرد وسيلة لربا النسيئة وانه يعتمد تارة على استغلال جهل الناس كما ذكرنا فى نهاية البند السادس ، وتارة على استغلال حاجتهم كما حاولنا أن نثبت هنا . اما ربا النسيئة فانه يعتمد أساسا على استغلال عجز المدين عن سداد الدين عند حلوله . وهذا مصداق قول الرسول صلى الله عليه وسلم لبلال « عين الربا » .

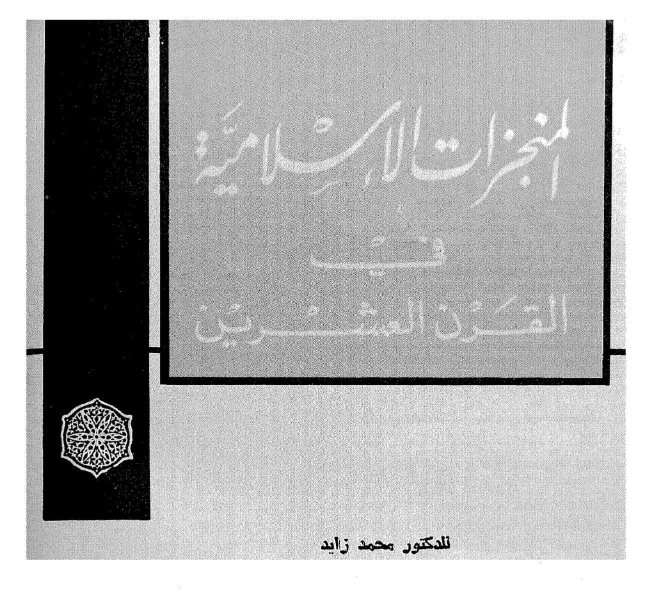
١٦ ــ خلاصة البحث :

أولا ــ كانت تستعمل السلع الرئيسية الأربع وهى البر والشعير والتمر والملح كنقود سلعية مساعدة للذهب والفضة فى مجتمع المدينة . ويستفاد من عبارة عمرو بن حريش أن الابل والبقر والغنم كانت تستعمل أيضا كوسيط للمبادلة فى بعض أجزاء الجزيرة العربية . فلذلك نرى أن علة تحريم ربا الفضل فى الأصناف الستة المنصوص عليها واحدة وهى النقدية .

ثانيا ــ لا يمكن ان نضع قائمة بالأشياء التى يجرى فيها ربا الفضل على ضوء العلة التى ذكرناها وذلك لأن الأشياء التي يقع عليها اختيار الناس لكى تقوم بدور النقود تختلف من بيئة الى أخرى بحيث يتعذر علينا معرفتها سلفا .

ثالثا ــ ان منع الشارع الحكيم لبيع الصنف الربوى بعضه ببعض متفاضلا ناجزا أو نسيئة ينطوى على مقاصد عديدة لا يدركها جميعا الا من نظر الى الأمر من عدة زوايا كما حاولنا أن نفعل . مثال ذلك ، لو نظر الى الأصناف الربوية كنقود سلعية لأبصر غرض النبى صلى الله عليه وسلم من المنع وهو اضفاء خاصية التجانس على كل منها حتى تتمكن من القيام بدورها كوسيط للمبادلة ومقياس للقيمة على ما يرام ؛ ولو نظر اليها كسلع سوقية وتأمل الظروف التى كانت تباع فيها وتشترى لأدرك أن المنع جاء لحماية مصالح الأكثرية التى لا تستطيع أن تميز بين الأنواع المختلفة كما وضحنا ذلك .

رابعا ــ لم يكن تحريم ربا الفضل لمجرد كونه ذريعة لربا النسيئة ، ولكنه حرم لكونه ربا حقيقيا كما قال صلى الله عليه وسلم « عين الربا » أى انه حقيقة الربا المحرم . .



اسمحوا لى أن أعترف بصعوبة ايفاء الموضـــوع حقه من الاحاطة لأسباب ثلاثة :

الأول : هو اتساع العالم الاسلامى وتعدد أجناس عنـــــاصره واختلاف أوضاعهم السياسية والاجتماعية وبالتالى لتعدد المشكلات التى يواجهونها .

الثانى : هو خيبة أمل الباحث فيما يجد فى متناوله من أبحاث عن بقـــاع كثيرة من العالم الاسلامى يندر مثلا أن تجد بحثا عن مسلمى مدغشقر أو جزر المالديف أو جنوبى أفريقيا ، ولا بد من ســـد هذه الثغرة المهمة فى المـــكتبة الاسلامية وتوجيه بعض الاهتمام لأطراف العالم الاســـــلامى ، لا حصره فى وسطه .

الثالث : يتعلق بما يمكن اعتباره من المنجزات .

هذا أمر ذاتى الى حد كبير ، لأنه يستند بصورة رئيسية الى ما يعتبره المرء مقوما من مقوماته ، والى تصوره لحاضره ، ولما ينبغى أن يـــكون عليه مستقبله .

وما انطلاقى فى هذه المحاضرة الا من مفهومى لهويتى وهو أننى مســـلم وعربى .

استضافت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الدكتور محمود زايد استاذ التاريخ الاسلامى فى الجامعة الامريكية ببيروت ، وقد القى سيادته محاضرتين : الاولى بعنوان « المنجزات الاسلامية فى القرن العشرين » وكانت فى قاعة المحاضرات بجامعة الكويت ، والثانية تحت عنوان : « الاسلام وتحديات القرن العشرين » وكانت باللغة الانجليزية ، وذلك فى قاعة المحاضرات بغرفة التجارة والصناعة ، وفيما يلى نص المحاضرة الاولى :

وأود أن أعترف بأننى لم أختر هذا الموضوع يقينا منى بأننى من أقدر من يوفيه حقه من البحث ، ولا يقينا بأنى موفيه حقه ، وانما اخترته بسبب ما الاحظه ويلاحظه غيرى من تركيز كثرة من الكتاب فى الشرق والغرب على تخلف المسلمين وجمود الاسلام ، بعضهم لا يزال يضرب على نغمة قصور المسلمين عن اللحاق بغيرهم من الأمم (المتقدمة) ، ويذهب البعض الآخر الى أن الاسلام لا يستطيع أن يساير الحياة ، بل ، وهناك من يذهب الى ان صلتنا بتراثنا انقطعت نهائيا ، كتب أحد هؤلاء يقول :

« من يدعو الى رفض الافكار المستوردة اليوم ، بعد مرور أكثر من قرن على النهضة وعجز جميع المصلحين عن السياحة فى غير محيط الأفكار والنظريات الغربية ، يفوه بكلام فارغ اذن ، كلام لا معنى له اطلاقا ، لأن رباطنا بالتراث الاسلامى فى واقع الامر قد انقطع نهائيا فى جميع الميادين وأن الاستمرار الثقافى يخدعنا .. » .

ولا يخفى ما فى دعاوى هؤلاء وغيرهم من افتئات على الواقع ، ومن تضليل لكثرة من الناشئة الذين لم يأخذوا من الاسلام أكثر بكثير من شرف الانتماء اليه . ولكن يجدر بنا أن ندرك كيف تكون هذا الانطباع .. ؟

أول سبب أساسى هو وقوع العالم الاسلامى فى براثن الاستعمار ، كان هذا صدمة كبيرة للمسلمين أينما كانوا ، ودفعهم هول الصدمة الى اطلاق الصرخة بعد الصرخة استنهاضا للنفوس واستثارة للهمم لمقاومة العدوان ، ولكنهم فى الوقت ذاته أظهروا من الأسف لحال المسلمين والأسى لما وصلوا اليه ما أسهم فى تكوين الانطباع السائد عن تخلف أو انحطاط المسلمين ، وأحيانا عن جمود الاسلام ذاته ، قال الشاعر الفيلسوف اقبال :

« أين حماتك يا هذه الديار ، وأين من جلجلت تكبيراتهم فى المساجد ؟ .. أسفا عليك يا ديار الاسلام التى منك انبعثت طلائع الحرية والعدالة والسلام » .

وظهر من المقالات والكتب التي حملت عناوين تنسب الانحطاط او التأخر للمسلمين ما ترك الانطباع بأن الاسلام فى انحطاط وتأخر وتخلف بالفعل ، ولعل أخطر ما فى هذا الانطباع هو ايهام السامع بانحطاط الاسلام بوصفه دينا أو بجموده ، أو بقصوره وعجزه عن مسايرة الحياة .

وقد أسهم فى تكوين هذا الانطباع بشكل رئيسى تحامل كثرة من المستشرقين والمبشرين والكتاب الذين وضعوا انفسهم فى خدمة الاستعمار ، كتب اللورد (هيلى) يقول عن الاستعمار الفرنسى :

« ومنذ البدء وجدت الادارة الفرنسية فى أفريقيا نفسها تشن حربا لتحرير الافريقيين الاصليين من سيطرة الاسلام المكافح » .

ويضيف اللورد هيلى الى هذا أن هذه النظرة السياسية الفرنسية انعكست على ابحاث الفرنسيين عن الاسلام .

لكن يجب الا يغرب عن البال أن احوال المسلمين السياسية والاجتماعية والاقتصادية كانت ايضا ذات تأثير كبير على تكوين هذه النظرة .

لقد سبق لى أن بينت فى محاضرة سابقة وقبل حوالى عام واحد من هذا المكان نفسه أن العصور التى تلت القرن الحادى عشر الميلادى من تاريخ الاسلام لم تكن عصور انحطاط كما هو شائع ، وعليه فنسبة الجمود والقصور الى الاسلام خاطئة من الاساس وتدل على جهل بواقع التطور التاريخى .

واود فى هذا الحديث أن أوضح أمرين أساسيين :

الأول : هو أن المنجزات الاسلامية فى هذا القرن انجازات ضخمة من اى زاوية نظرنا اليها ، وبأى مقياس قسناها ومن الناحيتين العملية والنظرية .

والثانى : اننا نشهد فورة فكرية ذات اتجاهات واضحة فى مقدمتها رفض الفكر الاوروبى الذى طالما وقعنا تحت رقاه ، واصلاح الخلل الذى أحدثه فى مؤسساتنا ، ثم الاتجاه الى منابع ثقافتنا وخاصة الدينية منها ومحاولة الخروج بأيديولوجية عربية اسلامية متكاملة ، واذا كانت هناك ثورة فكرية سلمية كبرى فى تاريخ الاسلام الحديث فهى هذه ، اى التخلص من براثن الفكر اللبرالى الاوروبى .

اما بالنسبة للأمر الأول :

وهو المنجزات .. فانى أضع فى مقدمتها انتشار الاسلام حتى فى الفترة التى بلغ فيها التسلط الغربى على العالم الاسلامى أوجه ، فانتشاره دون قوة سياسية تدعمه ، وفى وجه قوى تتسارع معه ، وتهدف الى زعزعة مقوماته ، هو أعظم دليل على حيويته الدافقة وتوثبه الدائم ، وجاذبية عقيدته الصافية . هذا من ناحية ..

ومن ناحية أخرى ، فنحن مدينون لانتشاره فى اتساع رقعة العالم الاسلامى اتساعا أدركنا نحن العرب مؤخرا مدى أهميته فى معركتنا مع الاستعمار ورأس حربته اسرائيل ، وأدركوا هم أيضا أهمية مشاركتهم لنا فى صراعنا الحالى ضد الصهيونية .

فمنذ أواخر القرن الثامن عشر شهدت مناطق كثيرة مدا اسلاميا جارفا أصاب المستعمرين والمبشرين بالذهول ، فقد شهدت مناطق السودان الشرقى والاوسط والغربى من القارة الافريقية نهضة اسلامية عظيمة كان رائدها الشيخ عثمان دنفديو الذى كان له الفضل فى جعل الاسلام دين شعوب بأكملها فى

السودان الاوسط وأسس الامبراطورية الفلانية وعاصمتها سوكوتو ، بعد أن بلغ ثمانية عشر عاما من عمره (١٨٧٦ — ١٨٩٤) يدعو الى الاسلام بين القبائل الافريقية .

وقد تلت هذه الانطلاقة انطلاقات أخرى :

فى السودان الغربى بقيادة الحاج عمر ، وفى السودان الشرقى بفضل محمد عثمان الميرغنى ، وأشرق نور الاسلام على بقاع أخرى كثيرة مثل تفقاسيا حين نهض الضابط التركى فرح فى عام ١٧٨٢ م بتأسيس مركز فى انابا بالقرب من منفذ على البحر الاسود ليكون مركزا لنشر الاسلام بين الشراكسة . وكان هؤلاء قد بقوا حتى هذه الفترة على الوثنية فيما عدا قلة ضئيلة منهم كان افرادها قد دخلوا فى الاسلام . تزوج هذا الضابط من شركسية وطلب من أتباعه أن يحذوا حذوه ، واستقدم علماء من القسطنطينية لتعليم الاسلام ، وكانت هذه الحركة منطلقا لانتشار الاسلام حتى القرن العشرين .

وفى الهند ، نجد قائمة الدعاة الى الاسلام تضم الى جانب الفقهاء رجالا ونساء من جميع الطبقات ، « ونجد فى ثبت يتضمن أسماء دعاة الهنود فى صحيفة احدى جمعيات لاهور الدينية الخيرية أسماء معلمى مدارس وكتاب للحكومة .. وتجار (وفيهم أحد العمال فى عربات النقل بالجمال) ومحرر احدى الصحف ومجلد كتب وعامل فى مطبعة . فقد خصص هؤلاء الناس سباعات فراغهم بعد انجاز عملهم اليومى للدعوة الى دينهم فى الطرقات وأسواق المدن الهندية » .

ويشيد أرنولد بالدور الكبير الذى قامت به المرأة المسلمة فى هذا السبيل ، وكم يتمنى المرء أن يجد فى كتبنا المدرسية — وأغلبيتنا من المسلمين — اسم واحد من أولئك المصلحين الافريقيين أو اشارة الى الجنود المجهولين الذين كرسوا ما لديهم من جهد فى سبيل نشر دينهم .

ولا يقل عن هذا الانجاز تحرر الغالبية الكبرى من البلدان الاسلامية من الاستعمار ، وغنى عن القول أن أكبر الفضل فى ذلك يعود الى الاسلام الذى وجد فيه الغربيون معقلا يحول دون تمثل المسلم وحمله على التخلى عن مقومات تراثه ، والجزائر بلد المليون شهيد أبرز مثال على ذلك .

كما كان للاسلام والعروبة معا الفضل فى صمود المسلمين عربا وغير عرب لعملية (غسل الدماغ) التى قام بها الغرب لزعزعة مقومات الاسلام ، وذلك بازدرائه للعقل الشرقى بوجه عام ، وطعنه فى قدرته ، وبفرض مؤسساته وقوانينه وعاداته ، وبالتبشير فى دياره ، وبفرضه ثنائية التعليم وثنائية القوانين والمحاكم . وأخيرا وليس آخرا بقيامه بمحاولة بعد محاولة لاضعاف صلتنا بتراثنا . نأطلق أبواقه تدعو الى تبسيط قواعد اللغة العربية أو اصلاحها أو بالاثنين معا ، وحينا بالتحول الى اللهجات المحلية لغة للتدوين والتأليف ، وحينا آخر بالتحول عن الحروف العربية الى اللاتينية ، وفى الوقت ذاته أخذ يشجع الدعوات الاقليمية كالفرعونية والفينيقية وغيرهما .

وبالرغم من تحول تركيا الى الحروف اللاتينية ، واضطرار تركستان الى التحول اليها ، فان الشعوب العربية كلها وكثرة من الدول والاقليات الاسلامية وخاصة فى الهند والباكستان وشرقى أفريقيا وأندونيسيا تمسكوا بالحروف العربية ، وينص الدستور الباكستانى الحالى على ضرورة تشجيع تعليم اللغة العربية .

وفى هذه الاثناء اضطلع العرب بتجديد لغتهم وذلك بتبسيط أسلوبها واغناء

مصطلحاتها وترجمة مختلف العلوم اليها ، وهذه هى المحاولة الثانية لتجديد اللغة بعد العصر العباسى .

ومن أبرز ما حققه المسلمون فى القرن العشرين هو اصلاح الخلل الذى أحدثه الاوروبيون بتشجيع ثنائية التعليم أو بفصل التعليم الحديث عن التعليم الدينى ، وبتشجيعهم ثنائية القوانين والمحاكم باحداث قوانين مدنية وشرعية ، ومحاكم مدنية وشرعية . وكان القصد من هذا كله كما لا يخفى حصر الاسلام فى أضيق نطاق ممكن فى المعاهد وفى حياة الشعب .

وكان أخطر ما ترتب على فصل الدراسات الدينية عن الدراسات العلمية غير الدينية أننا قطعنا الصلة بين شبابنا وبين أهم مقومات تراثهم وهو الدين . وتركناهم فى فراغ روحى شديد الى درجة أن بعضهم تخيل أن كل صلة لنا بالتراث قد انقطعت وأننا لا بد متغربون أو متأمركون أو متفرنسون أو مترسون .

ولا يقل عن هذا خطرا ما جنيناه على المتخصص بالدراسات الدينية عندما عزلناه عن أبعاد مهمة الثقافة ، فضاق أفقه ، وانعكس واقعه هذا على نظرتنا له ، وأحللناه فى معاشه منزلة دون منزلة طالب العلوم الأخرى ، وباختصار أصبناه فى عقله وفى ماله ، ونادرا ما ثار وجدان أصحاب السلطة والمثقفين ونادوا بدفع الظلم عنه ، ومما يبعث على الاسى أننا بعد هذا كله نضع مسئولية التخلف عليهم ، هذا بينما لا تلوم المهندس ولا الطبيب وغيرهما من المتخصصين بالدراسات الاخرى .

ومن آثار هذا الفصل بين الدراسات الدينية وغيرها أننا أخذنا نجرى على سنة الغرب فنقول : عالم دين وعالم دنيا ، بدلا من أن نقول : هذا مسلم متخصص بالدراسات الدينية وهذا مسلم متخصص بغيرها من الدراسات .

ووراء هذين الاصطلاحين فكرة الفصل بين الدين والدنيا وهى فكرة تتنافى بشكل مبدئى مع الاسلام .

لقد بدأت فكرة الفصل بين العلوم الدينية والدنيوية منذ أوائل احتكاكنا المباشر بالغرب وشجعها المستعمرون لأنهم أدركوا بأن أكبر عقبة فى سبيل السيطرة على المسلمين واستغلال خيراتهم هو الدين ، وعليه فلا بد من زعزعة أسسه بتحويل الشبان عنه . ولحسن الحظ أن المسلمين تنبهوا الى هذا فأخذوا منذ حوالى مائة وخمسين سنة يصلحون الخلل بالعودة الى ما انقطع من صلتنا بالتراث فى المعاهد الحديثة ، ولجأوا فى ذلك الى حلول رئيسية أربعة :

الأول : انشاء دوائر أوكليات للدراسات العربية والاسلامية فى الجامعات الوطنية .

والثانى : ادراج موضوعات عن الاسلام فى الجامعات كما حدث فى جامعة القاهرة والاسكندرية ودمشق والرباط وأندونيسيا وذلك فى فروع اللغات أو الأدب أو التاريخ أو القانون لكن بدون انشاء دوائر خاصة بالدراسات الاسلامية .

والثالث : انشاء أقسام للدراسات الدينية على نهج كليات الدين فى الغرب كما حدث فى عليكرة وطهران وأنقره (١٩٤٩) واستنبول (١٩٥٩) .

والرابع : هو ادخال العلوم الحديثة فى المعاهد الدينية وأبرز مثل على ذلك هو ما شهده الازهر من اضافات الى مناهجه الدراسية وكلياته منذ عام ١٩٦١ م .

وأرى أن العودة بالدراسات الدينية الى المدارس الثانوية والجامعات والمعاهد على اختلاف أنواعها هي بمثابة اعادة الروح الى الأمة بأسرها وبداية انطلاقة عظيمة لعملية التجديد والبناء ولكن المسألة ليست مجرد اضافة دائرة أو كلية وانما هى دمج الثقافة الدينية في العملية التعليمية برمتها .

وأود ممن يقولون بقصور الشريعة عن مسايرة الحاضر أو يلومون الفقهاء أن يمعنوا النظر قليلا فيما تم فى حقل التشريع من انجازات كان فى مقدمتهـا القضاء على الازدواجية أو الثنائية فى القوانين والقضاء التى قصد بها أيضـا حصر المتخصص بالعلوم الدينية . وحصر تطبيق الشريعة فى أضيق نطـاقات ممكنة ، وقد جاءت هذه الازدواجية بين قوانين مدنية وشرعية ، ومحاكم مدنية ومحاكم شرعية نتيجة لخضوع البلاد الاسلامية للاجانب ، ولسهولة اقتباس القوانين الاجنبية ، وحرص علماء المسلمين على ألا يجرى العبث بأحكام الشريعة الغراء . وأوليت دراسات الحقوق فى البلاد العربية بمزيد من الاهتمـام ، وفتحت لخريجيها أبواب الوظائف فى السلكين السياسى والدبلوماسى ، بينما حصر خريجو كليات الشريعة الاسلامية فى مجال ضيق ، وأصيبوا فى أرزاقهم تبعا لذلك .

وعلى الرغم من تأثر مركز الفقهاء وخريجى كليـات الشريعة على هذا النحو ، فقد بذلوا هم وعدد لا يستهان به من خريجى الحقوق من أصحاب الغيرة على الاسلام جهودا كبيرة موفقة كان لها فضل كبير فى اثبات زيف ما ذهب اليه المغرضون والمتحاملون على الاسلام الذين زعموا بأن الاسلام يتصف بالجمود ولا يتسع للتجديد وانه فى حالة تجدده فانه يفقد الصبغة الاسلامية ، لقد أثبت الفقهاء من خلال ما استنبطوه من أحكام ، وبلغة سهلة وعصرية ، على أن التجديد الدائم هو فى صلب التعاليم الاسلامية . كما أثبتوا أنه باسـتنارته بمصالح المسلمين ، وتوخيه التيسير عليهم ، ورفع الحرج عنهم ، وحضه على التجديد ، وفرضه لضرورة الاجتهاد على الأقل عند بعض المذاهب كما هو الشأن عند الحنابلة .. بهذا كله أثبتوا أن الاسـلام قادر على التغلب على المفاسـد واقامة المصالح وان شئت قل : قادر على مواجهة التناقضـات فى المجتمع ما جد منها وما سيتولد عنها .

اكدوا هذا بوجه عام واتبعوا فى الوقت ذاته منهجية من شـأنها أن تساعدهم على الاستفادة من الثروة الضخمة التى خلفها الفقهاء فى كل ناحية من نواحى التشريع .

لقد لجأوا أولا الى اصدار القوانين مع التقيد بمذهب ولكن بدون التقيد بالرأى الراجح فيه وهو ما فعله الفقهاء أيام العثمانيين فى المجلة ، ثم ما لبثوا أن لجأوا الى تخير الاحكام دون التقيد بمذهب معين وهو ما فعلوه حين أصدروا قانون الاسرة . وسار فى أثرهم الفقهاء فى مصر أيام الخديوى اسماعيل ، وفى القوانين التى تنظم شئون الاسرة والتى صدرت عام ١٩٢٠ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٩ ، استمد الفقهاء الاحكام من المذاهب الاربعة .

ولجأ الفقهاء بعد ذلك الى تلفيق الاحكام ، بل والى تلفيق الحكم الواحد كذلك ، ومال البعض الى التيسير على المسلمين بالاستناد الى المبادىء الخلقية الاساسية ، والعمل فى ضوئها على رفع الظلم عن بعض الفئات الاجتماعية .

ولم تقتصر اجراءات التغلب على الازدواجية على ميدان الاحكام فقط ، بل تعدت ذلك الى القضـاء كما حـدث فى مصر حين جرى توحيـد المحـاكم .

ولا بد لى من أن أدرج فى هذه المنجزات حقيقة مهمة وهى أن الحكام فى البلاد العربية سواء كانوا ثوريين أو غير ثوريين ، يلتقون عند نقطة أساسية ومصيرية وهى أن هويتهم عربية اسلامية وأن البناء على غيرها لا بد وأن يكون كمن يبنى فى الهواء .

وأعتقد أنهم بصفة عامة أخذوا يدركون أن الاسلام برغم كل ما رمى به من نعوت سلبية هو بناء شامخ ومتكامل لا ينال منه الزمن ، وأنه يتسع لكل اصلاح ما دام أساسه روحيا .

قال نابليون مرة بأن أعظم قوتين فى العالم هما السيف والروح ، والنصر هو فى النهاية دائما للروح ، وليس من شك فى أن سلطان الاسلام الروحى على المسلمين قد أثبت أنه لا يقهر ، وأن المسلم قد يلبس القبعة ولكن رأسه يظل مسلما .

وصلنا النقطة التى يجب أن نتساءل فيها عن الاسباب التى تكمن وراء هذا التيار القوى للتأكيد على الاسلام واتخاذه أساسا للحركات القومية ثورية وغير ثورية والغوص فى منابعه الروحية وثروته الفكرية .

ليس من شك فى أن حيوية الاسلام ، وتكامله روحا وفكرا وموازنته بين الحاجات الروحية والمادية سبب رئيسى . ولكن هناك أسباب أخرى وان كانت غير واضحة فى أذهان الكثيرين .

فى مقدمة هذه الاسباب أن افتتان المسلم بالغرب وبحضارته قد تزعزع من أساسه وأن المسلم قد أخذ يتغلب على الشـــعور بالنقص ازاء الغربى وحضارته .

ولهذا أسباب فى مقدمتها سببان رئيسيان :

وهما : خيبة أمل المسلم فى الفكر الليبرالى ، والفكر المادى الثورى ، جدليا كان أو غير جدلى ، فالحضارة الاوروبية القائمة على الليبرالية التى طالما وقع المسلم تحت تأثير رقاها هى نفسها تعانى من أزمات شديدة زعزعت ايمان الاوروبيين أنفسهم بها وبمستقبلها .

ولم يفت المسلم أن يلاحظ أن هذه الازمات هى فى الاساس روحية ، وأنها كما يقول مؤرخ أميركى للحضارة الغربية أنها تكمن فى : ازدواجية المقاييس الخلقية . فبينما ينشد الغربى بوصفه فردا مقياسيا عاليا لسلوكه ، تتبع دولته فى علاقاتها مع غيرها مقاييس لا أخلاقية وتتبع أساليب لا تبررها أية غاية . ولقد أثار تنكر الغرب للعدالة لا ثائرة شعوب العالم الثالث فحسب ، بل وثائرة الشبان الاوروبيين أيضا . وما مرد تمرد هؤلاء الشبان على سلوك بلادهم فى حرب الفيتنـــام وغيرها الا مظهر من مظـــاهر الثورة على الظلم والقرصنة والعدوان على الحرية .

ويتتبع المسلم أخبار المجتمعات الاوروبية فيستلفت نظره أن التيار المادى الجارف وفقدان الايمان عند الاجيال الناشئة وايمانهم بنسبية الاخلاق قد دفع الكثيرين الى التوسل بالمخدرات للانعتاق من ســـطوة المادة وللتعبير عن نقمتهم على المجتمع واحتقارهم له .

ويلاحظ المسلم كذلك أن هذه النقمة تجد متنفســـا لها فى جرائم فردية وجماعية وحشية وفى الهروب من العمل ، والتمرد على النظم ، ونبذ أساليب

الحياة المألوفة ، والانعزال عن المجتمع فى الكهوف أو الشـعاب أو تحت الارض .

وأهم من هذا كله أنه لم يفت المسلم أن يدرك أن الفكر اللبرالى أو المتحرر الذى ساد أوروبا فى القرن الماضى وشطر من القرن الحاضر كان نتاج ظروف خاصة بأوروبا لا ظروف انسانية عامة .

وقد يغيب عن بال كثرة من مثقفينا وكتابنا ومؤرخينا أن العلماء الغربيين الذين افتتن بأبحاثهم وعلمهم كانوا ولا يزالون يسخرون أنفسهم لخدمة أغراض تتنافى مع مقومات المسلمين وتطلعاتهم وأوضاعهم . لقد كان أولئك المثقفون الغربيون مثل كلاب الحراسة كما يقول الكاتب الوجودى الفرنسي جان بول سارتر ، يعملون فى خدمة الايديولوجيا البورجوازية ، ناصب هؤلاء المثقفون اللبراليون رجال الدين العداء ونادوا بتحرير ميادين الاقتصاد من الصبغة الدينية وذلك لاطلاق يد البورجوازية في خيرات الشعوب . ونادوا بحرية الاقتصاد لهذا الغرض نفسه وتوصلوا الى نظريات عنصرية تثبت تفوقهم ، بل بلغ الأمر بهم حدا قام معه الاطباء النفسيون الفرنسيون بأبحاث ترمى الى تفسير تأخر الافريقيين ببنية أدمغتهم وتركيبهم الفيزيولوجى .

وكما انعتق المسلم من رقى الفكر اللبرالى أخذ كذلك ينعتق من الفكر الثورى المستورد .

ان الاختلاف بين المسلم وبين هذا الفكر أساسى وكامن فى بعد الاسلام الروحى ، ولكن فيما يخص المجتمع فليس فى الفكر الثورى شىء لا يتسع له الاسلام .

والاختلاف هو اختلاف ظاهرى فحسب اللهم الا فيما يتعارض مع أى حكم اسلامى قاطع .

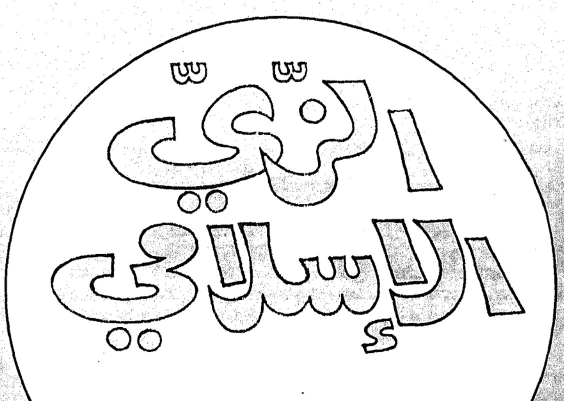
وبعد ، ماذا نستخلص من هذا .. ؟

أولا : أن سيطرة الاسلام الروحية علي المسلمين أقوى من أن تزعزعها النكسات والغزو الفكرى وأن حيويته الدافقة كانت حتى فى أوج التسلط الاوروبى كفيلة بانطلاقه وانتشاره .

ثانيا : أن فى العالم الاسلامى كله نزعة شديدة الى اصلاح الخلل الذى تم فى المؤسسات أيام الاستعمار والعودة بها الى سابق عهدها مع تجديدها . وأوضح ما يكون هذا فى التعليم والتشريع .

ثالثا : أن عهد الافتتان بالغرب وحضارته قد قارب على الانتهاء ، وأنه بدأ يرفض الفكر اللبرالى الاوروبى الذى وضع نفسه فى خدمة البورجوازية والاستعمار والفكر الثورى المادى .

وأن فى هذا شبها بما تم فى العصر العباسى من رفض لما لا يتفق مع الاسلام من الحضارات الاخرى .



للدكتور أحمد الحجى الكردى

قد يكون هذا الموضــوع غريبا لأول وهلة إذ يقول بعض القارئين ما علاقة الاسلام بالزى ، وهل له فيه حكم ؟ أليس الاسلام دين الحرية والانطــلاق من القيود ؟

لكن الجواب على ذلك واضح ولا يحتــاج الى غوص وتعمق ، فالاسلام حقا دين الحرية الى غايتها ونهايتها ، الحرية غير المحــدودة إلا بحدودها هى نفسها . فالاسلام كفل الحرية للناس جميعا لا فرق فى ذلك بين رجل وامرأة ، ولا بين عربى وغير عربى ، أو بين غنى وفقير ، أو كبير وصغير .. والحرية ملك الجميع بقدر متساو بينهم وهى حق لهم جميعا ، لكن هذه الحريات لا بد وأن يتماس بعضها مع بعض فى خطوط تماس تشكل الفاصل بينها المحدد لحدودها ، فحرية الانسان لا بد وأن تنتهى عند نقطة انتهاء حرية غيره فى موقع التماس والا كان الاعتداء على حــرية الآخرين وهذا ما لا يرضى به الاسلام لما فيه من الظلم الذى جاء هو لتغييره ورفعه .

وبذلك تكون الحرية قد حدت نفسها بنفسها حفاظا على كيانها وجوهرها ، دون أن يكون للاسلام فى هذا شىء غير بيان هذه الحدود التى تضمن للجميع قدرا متساويا من الحرية .

وانطلاقا من هذا المبدأ الاسلامى العام فى تكريم الحرية وصيانتها والحيلولة دون اعتداء بعض الناس على بعض فان الاسلام يقرر ان للمسلم ان يتخذ الزى الذى يراه ويناسبه دونما قيد او شرط الا ان يكون فى ذلك اعتداء على حرية الآخرين ، فاذا كان فى هذا الزى اعتداء على حرية أحد فانه يعتبر ممنوعا صونا لحرية الآخرين التى يحرص الاسلام عليها ، ولا غرابة فان فى بعض انواع الزى ملبسا كان أو غيره تعديا على الكثير من حريات الآخرين فى أخلاقهم وسلوكهم وتربية أولادهم وغير ذلك .

فلكل امرىء الحق بل هو مسؤول عن حفظ اخلاقه وأخلاق من يعوله ويلى عليه من الجنوح والانحراف بل هو مسؤول عن اخلاق المجتمع الاسلامى كله ، وفى بعض أنواع الزى استهتار بهذه الأخلاق ، ودعوة الى ما يجافيها مما يحول بين المسلم وبين ما يتطلع اليه من مستوى أخلاقى رفيع دعا الاسلام اليه .

وجمعا بين المبدأين ، مبدأ صون الحريات وحمايتها ، ومبدأ عدم اعتداء بعضها على بعض فقد أبان الاسلام عن بعض القيود فى الملبس التى يعتبر فى تجاوزها اعتداء على حريات الآخرين .

واهم هـــذه القيود :

١ ــ ان لا يكون اللباس كاشفا للعورة أو لجزء منها ، وعورة الرجل هى من السرة الى الركبة ، أما عورة المرأة الحرة فهى جميع بدنها الا الوجه والكفين والقدمين فى قول جمهور الفقهاء .

وعلى ذلك فان أى لباس ينكشف معه فخذ الرجل أو بطنه ، أو ينكشف معه شعر المرأة او ساعدها أو ساقها ، أو غير ذلك يعتبر لباسا ممنوعا محرما لما فى ذلك من دعوة ضمنية الى الرذيلة

والتحلل الخلقى الذى لا يستطيع الآخرون معه الحفاظ على أخلاقهم وأخلاق أسرهم وأبناء مجتمعهم ، وفى ذلك اعتداء كبير على أسمى ما تكفله الحرية لكل انسان من المبادىء وهو مبدأ حرية العيش فى مستوى أخلاقى رفيع .

ولا يجوز أن يقال بحال : ليغلق الانسان على نفسه الباب ولا يتعرض للآخرين ، ولا يأبه بهم ولن يناله بعد ذلك منهم أى أذى . ذلك أن الحياة العامة ملك مشترك بين الجميع ، ولا يستطيع أى انسان أن يمنع الآخرين من ولوجها ، وعلى جميع المسلمين أن يكفوا عن أى عمل يلحق أذى بالآخرين فيها ماديا كان ذلك الأذى أو معنويا . الا ترون أنه لا يقال لولى من قتلته سيارة فى شارع عام « لو كان هذا القتيل فى بيته لما قتلته السيارة وبالتالى لا مسؤولية على القاتل » واذا ما قيل ذلك اعتبر شذوذا مردودا على صاحبه ، لأن الشارع العام ملك لكل الناس ، وعلى كل الناس أن يبتعدوا عن ايذاء بعضهم فيه . فكذلك اللباس لا يجوز أن تتعدى فيه الحدود التى يلحق منها ضرر بالآخرين ، مثله مثل السيارة تماما لا فارق بينهما الا من حيث أن ضرر السيارة مادى وهذا ضرره معنوى ، وهو فارق غير مؤثر هنا .

بل ان النظرة المستهترة يلقى بها الرجل الى امرأة فى الشارع ، أو تلقى بها المرأة الى الرجل فيه تعتبر أمرا ممنوعا شرعا بنص كتاب الله تعالى حيث يقول : **« قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم »** ويقول : **« وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن »** لما فى ذلك من اعتداء على حرية الآخرين فى السير فى الشارع العام فى أمان وسلام بعيدا عن الفساد ومسبباته .

٢ ــ أن لا يكون اللباس شفافا يشف عن العورة تحته ، لأن الشفافية هذه مثل الكشف تماما ان لم تكن أشد منه اغراء ودعوة الى الفساد ، ولأن الثوب الشفاف لا يعد ساترا ، والله سبحانه ورسوله قد أمرانا بالاستتار ، فقد روى ابو هريرة عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ انه قال (صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر

يضربون بها الناس ، ونســـاء كاسيات عـــاريات . مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) رواه مسلم .

٣ ــ ان لا يكون اللباس ضيقا يشكل حجــم العورة تحته ، كالسروال الضيق الذى يشكل حجم الفخذ والمعطف الضيق الأكمـــام الذى يشـــكل حجم الساعدين بالنسبة للمرأة ، وكذلك الثوب الضـــيق الذى يشكل حجم الصدر والخصر للمرأة .. وغير ذلك . لأن فى هذا كله نوع اغراء وإيذاء ونيـــلا من حرية الآخرين فى المحافظة على أخلاقهم وعفافهم ، ولأن فيه نوع كشف للعورة بالجملة .

٤ ــ ان لا يكون فى اللباس نوع خيلاء وكبر واسراف ، لأن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ نهى عن ذلك ، والقرآن الكريم جاء بتحريمه أيضا ، فقال تعالى : ((**ولا تمش فى الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا**)) ، وقال جل شأنه : ((**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**)) . وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة) رواه البخارى . ولم لا فان فى التكبر اعتداء على مبدأ المساواة التى قررها الله تعـــالى ترسيخا لمبدأ الحرية ، ثم ان الاسراف داء اذا انتشر وباؤه بين أفراد الأمة الحق بها الخراب والدمار وهو ما لا يرضى به الاسلام .

٥ ــ ان لا يكـــون اللبـــاس زيا خاصـــا لغير المسلمين ، فاذا كان كذلك كان فى ارتدائه تشـــبه بهم قد يجـــر الى تقمص شخصيتهم والتخـــلى عن الشخصية الاسلامية بكل مقوماتها شيئا فشيئا ، وفى هذا من الخطر على الأمة ما فيه ، وهـــل كان أول ضعفنا الا التخلى عن تقاليدنا واستيراد تقاليد غريبة عنا فى الملبس والمسكن .. (من تشبه بقوم فهو منهـــم) .

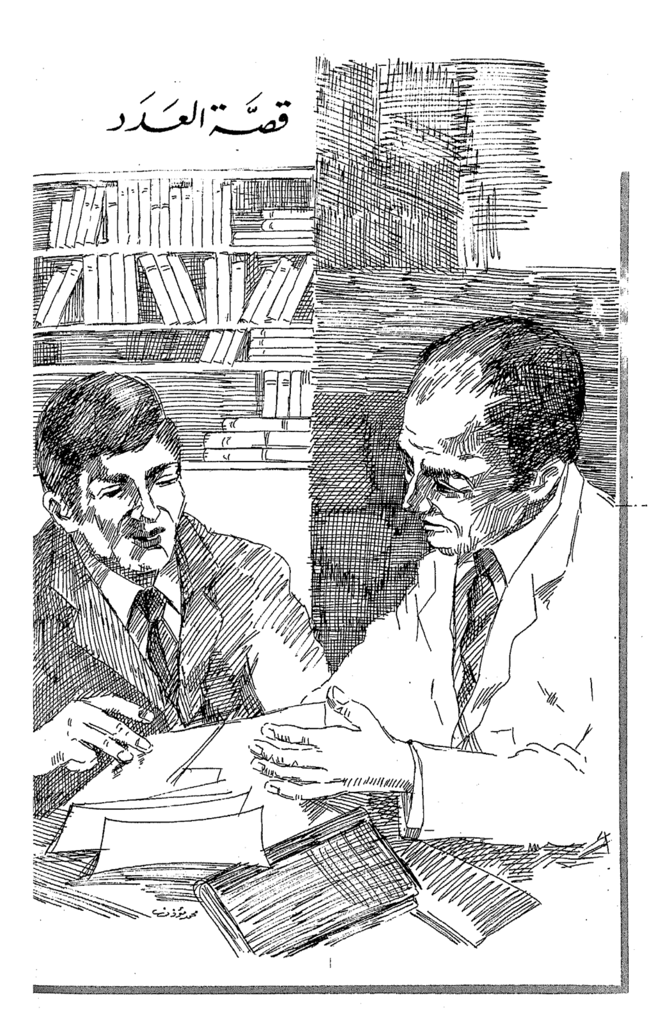
وهذه امم الأرض كلها تحـافظ على تاريخهـا وتقاليدها بما فى ذلك أرقى الأمم ، ونظرة عجـلى الى هذه الأمم من اقاصى الصين الى أواخر أوروبا كافية لوضع النقاط على الحروف فى ذلك ، فما بال بعضنا يستسيغ التخلى عن هذه التقاليد غير آبه بما يترتب على ذلك من أفدح الأضرار .

ولكن ليتنبه هنا الى أن ذلك لا يعنى بحال أن نصم آذاننا عن كل جديد ، فان الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدهـا التقطها ، بل يعنى أن نفتـح آذاننا وعيوننا وكل حواسنا جيدا عندما نقع على أى جديد فنقيسه بعقولنا ونزنه بمبادىء اسلامنا ، ثم بعد ذلك لنقرر اخذه أو تركه ، فاذا أخذناه فلنحاول أن نصبغه بصبغتنا الخاصة قطعا لمعنى التبعية فيه ، فقد ثبت عن النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أنه امر اصحابه الأبرار مرة بصوم يوم عاشوراء ، فقـالوا له : يا رسول الله هذا يوافق صوم اليهود ـــ لأنهم يعلمون انه لا يحب الأخذ عن أحد من غير المسلمين ـــ فأجابهم بقوله : نحن أحق بموسى منهم ، نغيره فان جاء العام القابل نصوم معه يوما قبله أو يوما بعده . (أو كما قال) ، وقد ثبت عنه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أنه قال لأصحابه مرة أيضا (إن اليهود والنصـارى لا يصبغون ـــ أىشيب شعرهم ـــ فخالفوهم) متفق عليه . والرسول ـــ عليه الصلاة والسـلام ـــ هو قائدنا ومعلمنا وهو الأسوة الحسنة فينا .

٦ ـــ ان لا يكون فى لباس الرجل ما يشـبه لباس المرأة ، ولا فى لباس المرأة ما يشبه لباس الرجل وذلك لنهى النبى ـــ صلى الله عليـه وسلم ـــ عن ذلك ، فقد روى عن ابن عبـاس انه قال : (لعن رسـول الله المتشـبهين من الرجـال بالنسـاء ، والمتشبهات من النساء بالرجال) رواه البخارى ، وقد روى أبو هريرة أيضا : (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـــ الرجل يلبس لبسة المـرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل) رواه أبو داود بإسناد صحيح .

ذلك أن الله تعالى خلق الناس من ذكر وانثى وأودع فى كل منهما من الصفات ما يجعله أهلا لتحمل مسؤولياته الخاصة به فى هذه الحياة ، وفى ارتداء أى منهما لباس الآخر تغيير لنفسه ومشاعره مما يعوقه عن القيام بالأعباء الحياتية التى خلقه الله تعالى لها . فيكون بذلك مفوتا على الأمة فردا نافعا طالما عملت على اعداده والعناية به ، ذلك أن لطريقة الانسان فى ملبسه ومأكله ومسكنه وحديثه .. أثرا فى نفسه وسلوكه ، هذا ما يراه ويشهد به العلماء المتخصصون فى الدراسات النفسية والاجتماعية بصرف النظر عن عظم أو صغر ذلك الأثر .

هذه هى أهم صفات وملامح الزى الاسلامى ما يتعلق منها بالملبس للرجل والمرأة ، رأينا كيف سلك الاسلام بها مسلك الأخذ بالحرية المقيدة بما يحفظ حرية الآخرين فى أمورهم المادية والمعنوية وكلى رجاء أن يتفهمها شبابنا وشاباتنا ويدركوا مغزاها العميق ويلتزموا بها محافظة منهم على استقلاليتهم وبعدا بهم عن التسكع على موائد أزياء الأجانب التى تأتينا كل يوم بجديد ظاهره الرحمة وباطنه العذاب ، يحمل فى طياته كل ما يكفى للقضاء على أخلاقنا وصمودنا ومثلنا ، وهو ما لم تستطع فعله سيوف الصليبيين وحروبهم التى امتدت قرونا .. ((**فهل من مدكر ؟**)) .


قصّة العدد



للاستاذ / محمد رشدى عبيد

حجرة صغيرة ضمت رفيقين جمعهما طلب العلم فى ديار الغربة أما احدهما ، وهو حسن فكان رضى النفس ، جم الأدب ، حلو الحديث ، حسن المعاملة ، لطيف المعاشرة ، مؤمنا بالله تعالى أعمق ايمان واصدقه مواظبا على العبادات يؤديها بخشوع وشوق ، وكان يملك اضافة الى علمه الدينى ، ثقافة عصرية ، واطلاعا على العلوم الحديثة ، يتابع ما جد من أخبارها ، وما اكتشف من أسرارها ، ليزداد ايمانا الى ايمانه .

لقد وزع أوقات فراغه بين العبادة والتأمل ، وبين المطالعة ، ولقد كانت مطالعاته تشمل كل كتاب يعرض تيارا فكريا مستحدثا ولو لم يرقه ، وكل لون من الوان الثقافة ولو تضاد مع ما وقر عليه قلبه ، واشتملت عليه نفسه ، فأما غايته من الاطلاع على النظم والآراء البشرية المستحدثة بعيدة عن هدى الله فهى معرفة عمق المنحدر السحيق الذى هوى اليه الفكر الانسانى ليقدر قيمة موقفه الفكرى السامق ، لقد كان ينظر الى ضحالة المستنقع الوبىء ، ليتذوق عذوبة النبع الذى ورده ، ويرتوي من منهله الصافى حتى ينتشي ... استطاع الاستاذ حسن كما كان يلقبه زملاؤه بسيماه الذى تعلوه الهيبة ، ووجهه الروحانى المشع وحديثه الآسر ، ان يسيطر على القلوب ويجتذب اليه النفوس ، وما أكثر الشاردين الذين أعادهم الى حظيرة الحق ، حيث الروح .. والحياة الايمانية ، حيث سلامة التصور ونظافة القلب .. واطمئنان النفس وراحة الضمير .

أما رفيقه (سعيد) فكان بالرغم من رقة حاشيته ، وظرفه ، وبشاشته البادية على وجهـــه المستدير يبدو في أحاديثه وآرائـــه ، وكأنــــه يحمـــل اتجاها فكريا مناقضا لاتجاه صاحبه ، وكان الاستاذ (حسن) يملك موهبة غريبة في معرفة الحالة النفسية التي يتصف بها كل من يقابله ويحادثه وذلك من خلال التدقيق والتفرس في سيماوجوههم وحركاتهم والمواضيع التي يودون مباحثتها معه ، ولهذا فقد ساورته شكوك في ان رفيقه (سعيد) يعاني من آلام نفسية تضطرم نيرانها بين جنبيه بالرغم من اجتهاده في اخفائهـــا عن صاحبه وكافة زملائه ، ثم يتيقن الاستاذ بان تهلل أسارير سعيد ، ودعاباته الكثيرة ، ما هي الا طلاء لامع لنفس متألمة منهدة البنيان ، وان مرحه المصطنع ما هو الا ستار يخفي تحته القلق الذي يعانيه ، وذلك حين رجع الى البيت في يوم مشهود ، وما أن اقترب من الباب حتى سمع من داخل الحجرة انينا تحول الى بكاء مر .. استولت الدهشة على الاستاذ حسن وردد مع نفسه : الله .. انه سعيد ... ولكن ماذا أصابه ؟ .. ما الذي احدث هذا الانقلاب المباغت في شعوره .. ؟ وبادر الى طرق الباب طرقات قوية متتالية على غير عادته ـ كانت تعبر عن اللهفة والقلق اللذين يعتملان في صدره اشفاقا على رفيقه . نهض (سعيد) بخطى متثاقلة ، وجفف من دموعه المنسابة على خديه ، ثم فتح باب الحجرة .. دخل الاستاذ واغلق الباب وراءه برفق ودون ان يحول نظراته المستغربة عن وجه رفيقه ، كانت ملامح سعيد لا تزال تنطق بالأسى وتعبر عن ما يجيش في صدره من انفعالات حبيسة ، ولم يكن الأستاذ حسن قد أخذ مقعده من الأرض حين بادره الى السؤال عن سبب بكـــاء رفيقه ، قال :

ـ أخي ، لماذا كنت تبكي ؟ لقد كان عهدي بك أن أراك جذلانا ، تملأ جو الغرفة غناء ، ولا تكف عن دعاباتك الحلوة .. !!

أجاب سعيد بصوت ملؤه الشجن : انا لم يصبني يا اخي أي عارض ، وانا لست الا ذلك المرح ، ولكن لأصارحك : اني أحس بإحساسات اليمة تدمر كياني ، وتهد من قواي ، وتذيقني مر العذاب .. كما أني لا اشعر بالراحة الا اذا بكيت .. وليست هذه هي المرة الأولى التي ابكي فيها ، بل انني قد لجأت الى الوسيلة كلما انتابتني تلك المشاعر لاخفف من حدتها ، واطفىء نيرانهـــا المستعرة التي تلهب وجداني ، ولكني اجتهدت ان اخفي عنك بكائي ، كي لا اقلق راحتك ، وانغص سعادتك .

الأستاذ مستغربا : وما نوع تلك الاحاسيس التي تعاني منها الى هذه الدرجة .. انك تعيش كما تحب وتهوى .. لا ينقصك المال .. أما الشهرة فأنت في طريقك اليها .. او هي في طريقها اليك ، ثم انك لا تمنع عن نفسك اية شهوة ، ولا تكبت اية رغبة أو نزوة ، لانك لا تعترف بوجود رقابة خارجية عليك ، ولا تبالي بأعراف المجتمع أو مبادىء الأخلاق ، ألست تـــدعى بأن الانسان وجود مستقل فعليه أن يسعى لتحقيق هذا الوجود ، وبحرية كاملة ، وبدون قيود أو حدود ؟ أليس الألم الذي تعاني منه قيدا يشل الطاقة الإنسانية ويحد النشاط البشري ، فلماذا لا تحرر نفسك من عقابيله ؟ !

اجاب سعيد بصوت يائس : أخي حسن لو كانت تلك الآلام والمشاعر قيودا خارجية لتحررت منها ، ورميتها بعيدا عني ، ولكنها تنبع من أعماق قلبي

وصميم وجدانى ، ولهذا فلا سبيل لي الى ازالتها ، ثم أردف بعد تنهدة عميقة : إني لا أرى نور الأمل فى انكشاف مصابى ، وباعتقادى أن مأساتي سترافقنى الى القبر ، ثم سأل مستعطفا :

ــ هل تسمح لى أن أسرد لك قصتى بشيء من التفصيل ، عسى ان اجد عندك الحل المرتجى لمشكلتى او اشعر بدفء اليقين في رحاب قلبك الكبير الذى وسع آلام كثير من الناس وآمالهم ، وان لم يكن ذاك فقد احس ببعض الارتياح ، واتذوق حظا من الانشراح عندما اجدك تشاركنى آلامى وتسرى عني بعض ما اعانى .. ؟

الأستاذ : ساكون سعيدا اذا ما استطعت أن اقدم لك العون الذى تبغيه .. اننا معاشر المؤمنين نتقرب الى الله بتفريج كروب المصابين ، وادخال العزاء والسلوى الى قلوب المنكوبين ، ومسح الدموع المتحدرة من عيون البائسين ، واضاءة أسرجة الأمل فى أفئدة القانطين ، قل اسمع ، ولا تخف عنى شيئا من جوانب المشكلة وأسرارها ومواردها ومصادرها عسى أن يوفقنى الله تعالى لحلها .. !!

سعيد : أخى لقد نشأت فى أسرة لا تؤمن الا بالعلم المادى ، ولا توقن بوجود شيء لا تقع عليه الحواس ، ان والدى يرفض وجود عالم الغيب ، انه يعتقد بان المصادفة هى التي خلقت الكون ، وان الانسان انما أصله حيوان بلغ هذه الدرجة من التطور والرقى بفعل عوامل الطبيعة ومتطلبات البيئة ، وهو يرى فى هذه الحياة الفرصة الوحيدة التي يملكها الانسان ثم يصير الى العدم ، ولهذا فانه ينتهب اللذات نهبا ، لا يبالي بدين أو خلق أو عرف ، وقد نشأنى . على ما يعتقده ، وانسجمت مع هذه الأفكار ردحا من الزمن ، الا ان صوتا ما بدأ ينبعث من أعماق فؤادى ، لقد بدأ خافتا خفيضا ، لكنه لم يزل يعلو ويعلو وزادت الأوقات التي ينبعث فيها ، حتى انه اخذ يكدر صفو أوقاتى ، ويحرمنى التمتع المطمئن بملذاتى ، ولا يزال يطرق فكرى بتساؤلاته !

الأستاذ : وماذا يقول ذلك الصوت ... ؟

سعيد : انه يقول : أن خالقا قد خلقك ، وخلق كل هذه العوالم البديعة ، ووضع فيها القوانين والنواميس الثابتة .. انه مصدر كل هذا التناسق والجمال والابداع فى المخلوقات .. كل مظاهر الوجود ونواميسه تدل على عظمته ، وحكمته ، وعدله ، ورحمته !!

تهلل وجه الأستاذ حسن فرحا وسرورا ، وشعر بسعادة غامرة ثم قال بلهجة الواثق من نفسه :

ــ انه صوت الايمان المحبوس .. انه نداء الفطرة التى استيقظت من غفوتها .. يأبى الله الا أن يتم نوره ، ويبين الآيات الدالة على وجوده فى الأنفس والآفاق .. انه ... موجود .. قاطعه سعيد بلطف قائلا :

ــ أخى أما وجوده فقد توصلت اليه بعد تجربة مريرة .. انه يتجلى فى كل شيء ، كل مظاهر العظمة والجمال توصل اليه ، الجبال السامقة التى تبهر الأنفاس ، الوديان العميقة التى تدهش المتطلعين ، أصوات الطيور الشجية ، انغام مظاهر الطبيعة المتناسقة جمال الطفولة وبراعتها المؤنسة ، عبق الأزهار وأريجها العاطر ، جمال الفجر الوليد ، حمرة الشفق وقت الأصيل ، همسات الأطياف السارية فى الليل ... أين المصادفة العمياء من كل هذا الجمال ، بل هو الله ... ولكن !!

الأستاذ : لكن لماذا يا أخي .. ؟

سعيد : ان هناك تناقضات تعتمل في فكري ، أشعر معها بعبثية الحياة، وانعدام الحكمة في بعض حوادثها بل اني لأشعر بالظلم البين في بعض وقائعها ، اني لأتساءل : لماذا يموت أحبائي وذوو قرباي ثم سأتبعهم أنا في الطريق اللاحب الممتد ؟ أيعقل أن تنتهي بالموت حياة هذا الإنسان الذي لا يتشوق لشيء كما يتشوق للخلود ، ولا يحب أمرا كما يحب البقاء والامتداد ؟ ما علة اختلاف الناس في الحظوظ الدنيوية التي وهبوها ؟ ما الحكمة من وجود الشر والمرض والألم ؟ هل من المعقول أن يستعلى الباطل ، ويضام اهل الخير ويسام الضعفاء الخسف ، ثم يذهب الكل ولا حساب ! ؟ انه ليقض مضجعي تمزق الأواصر بين الأفراد ، واضطرام نار البغض بين الطبقات ، وتفكك الروابط بين الشعوب ... لقد فقدت السلام النفسي .. لقد ضقت بمشاعري هذه .. إني أريد أن أعيش عيشة سعيدة ولهذا فإني أغرق مشاعري طورا في الملذات ، وطورا ألجأ الى وسائل التخدير والتعمية .. فقط لكي أنسى نفسي .. ولكن بدون جدوى يا أخي .. لقد تعبت في الهرب والاختفاء وأسلمت قيادي للألم !

الأستاذ حسن : مهلا يا أخي ، أما الحقيقة الكبرى فقد توصلت اليها وأما تلك التناقضات التي تعتمل في أفكارك فهي نفسها سوف تتمخض عن الايمان الوليد .. بل هي تباشير فجر العقيدة التي سوف تطمئن روحك المعذبة وتقر نفسك القلقة . وكانت علائم التطلع والاهتمام قد بدت ظاهرة على وجه سعيد .. ما أشد حاجته الى النور .. ما أعظم حاجته الى الزاد الروحي الذي حرم منه سنين طويلة !! واستطرد الأستاذ يقول :

ــ فأما وقد توصلت الى وجوده ، فما عليك الا أن توثق صلتك به ليمدك بالهدى واليقين ، ويمنحك سلامة الادراك ، وصفاء الفكر ، وراحة البال ، وأطمئنان الضمير اتعرف عليه من خلال كتابه الأخير للأنسانية (القرآن) الكتاب الذي لم تبل جدته السنون ، النبع الذي يفيض بالخير والنور ، انه وصفة ناجحة لجميع أمراض النفس والفكر والقلب ، فاذا ما حسنت صلتك بكتابه ، فقد حسنت صلتك به ، واذا ما تم ذلك فسيكون لك ربك السند المتين في المحن ، سيملأ نفسك رضى ، ويشرح صدرك أملا .. ثم أردف :

ــ سأحل لك كل المشاكل في ضوء القرآن بإذن الله ، فاسمع .

ــ نعم ..

ــ فأما رغبة الامتداد في الانسان ونزعة البقاء والخلود في نفسه فان كتاب الله سبحانه لم يهملها ، بل انه قد جعل الحياة في الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية التي سوف يحياها الأنسان ليكمل وجوده الناقص على الأرض ، وليشبع حاجته الى الخلود ، ويطمئنه على مصيره بعد الموت ، فما الموت الذي ترهبه الا معبر من حياة زائلة الى حياة باقية ، أو من قاعة امتحان الى حيث الدار التي تستعصي على الفناء وترفض العدم ، هناك يثاب المحسن ، ويعاقب المسيء ، وينال المؤمنون جزاء اتعابهم وتضحياتهم كاملة غير منقوصة ، وهناك ينتصف للمظلومين ممن ظلمهم ، ويدخل الطغاة والمتجبرون أشد العذاب . اسمع قوله تعالى ((**اليوم تجزى كل نفس بما كسبت . لا ظلم اليوم**)) .

فقر عينا وطب نفسا يا صاحبى اذا ما نزل الموت ، أو قربت أيامه فان الجنة قد تزينت وتجملت للقاء عباد الله الصالحين ، فاجتهد أن تكون منهم ، ولا عليك اذا من القدر المحتم اذا ما اتبعت الهدى وقصد السبيل ... هاك البشارة الالهية : « **ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا** » .

سعيد : اذن فالدنيا دار بلاء وليست دار جزاء ووفاء .

الأستاذ : نعم . ولهذا فان الله سبحانه وتعالى لا يقيد ارادة البشر الحرة ، بل يدعهم وما يعملون حتى حين ، فهو إمهال وليس إهمالا ، والكل منظرون ليوم لا ريب فيه ! اسمع قوله تعالى : « **ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار** » .

سعيد : فما هى علة اختلاف الناس فى الحظوظ الدنيوية التى وهبوها ؟

الأستاذ : هناك نقطتان أحب بيانهما في هذه الشبهة التى تتردد فى صدرك ، أولاهما ... انه يجب تطبيق الشريعة الالهية فى المجتمع الذى يجب أن يصل أو يصل أكثر افراده الى المستوى الذى ينسجم ويصلح ويتقبل المبادىء الاسلامية ، تلك الشريعة التى تعطى كل ذى حق حقه ، وتعدل كل العدل فى توزيع الخيرات والمنجزات ، وتضمن حقوق جميع الأفراد والطبقات ، ولكن حتى عند قيام ذلك المجتمع الصالح ، المتكافل ، المتساند ، فان التفاضل فـى الرزق لا ينعدم ، ويبقى الأختلاف فى مقدار الحظوظ الممتلكة ، والطيبات المنالة والجاه المحرز ، تلك سنة من سنن الله لم تتبدل ولن تتبدل قال تعالى « **الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له** » ولكن سنثوب الى حكمة الله العليا مرة أخرى ونستشف طرفا منها فنقول : ان الله تعالى يبتلى عباده بالخير والشر : « **ونبلوكم بالشر والخير فتنة** » وذلك ليعلم مدى صبرهم ، ودرجة شكرهم ، وصلابة ايمانهم ، ان هناك بعض النفوس يطغيها الخير ، وبعضها يقسيها النعيم ، فتنسى الله وتحرم ذواتها من نعيم الآخرة ، ولهذا يتفضل الله تعالى على كل طائفة بقدر من متاع الدنيا يلائم حالتها ، ويناسب طبيعتها ، حتى لا تضل ولا تشقى .

كما أنه لا بد من وجود الاختلاف فى الثروة بين النشـيط الدؤوب ، والمتعطل الكسول ... بين المقتصد فى انفاقه وصرفه ، والمسرف المبذر الذى ينفق ماله بغير حساب فيما ينفع ولا ينفع ... بين من جعل الآخرة أكبر همه فهو يقدم من ماله مهرا سخيا للجنة التى جعلها نصب عينيه ، والمقتر الـذى لا يكاد يؤدى الحق المفروض فى ماله للسائل والمحروم .

سعيد : ولكن ما الحكمة من ابتلاء الله لأحبائه بالأمراض والآلام والمصائب بينما اعداؤه يسرحون ويمرحون فى الدنيا ، يتمتعون بطيبات الحياة ، لا يبالون بدين ولا يلتزمون بحد من حدود الله ؟

الأستاذ : اما احباؤه فانه يبتليهم ليكشف صدق دعواهم ، ويتحقق من نواياهم وهو أعلم بها ، ثم ان هذه الآلام والمحن التى تصيب المؤمنين لهى خير مفجر لينابيع الرحمة التي تفيض من قلوبهم على عباد الله المحرومين ، وهى اجدىوسيلة لتقوية اتصالهم بربهم ، وتحسين علاقتهم به وتخليص قلوبهم من التوجه لغير الله والتعلق بعرض من الأعراض الفانية ، انها اضافة الى ذلك سلسلة من التمرينات المتعبة التى تؤهل المتقين لدخول جنة الله الخالدة التى لا يستحق دخولها الا من طهرت نفسه ، وعظم صبره ، وهانت عنده التضحيات . أما أعداؤه الذين انحصرت هممهم فى نيل ثواب الدنيا ، وضاقت آمالهم فلم تتعد حدود الارض ، فلا بأس بالتفضل عليهم بشىء من النعيم الظاهرى الذى يتقلبون فيه .

سعيد : وماذا تقصد بظاهر النعيم .. ؟

الأستاذ : أقصد أن النعيم الحقيقى حتى فى هذه الدنيا ليس فى زينة الحياة وزخارفها . بل ان سعادة النفس ، وراحة الروح ، وطمأنينة الضمير لهى من أعلى اللذات وأدومها . ان كثيرا من المؤمنين يعيشون فى حرمان من لذات الدنيا ولكنهم سعداء أكثر من أصحاب المال والجاه والنعيم وكما قال تعالى : « **كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان ربك محظورا** » ولكن سوف يقال يوم القيامة للكافرين : « **أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون** » . أما المؤمنون فينالون جزاءهم الأوفى فى ذلك اليوم .

انك تنظر الى جزء من قصة الحياة الانسانية وهى الحياة على الأرض .. لكن القصة لم تكمل بعد فلا يضق صدرك ، ولا تذهب نفسك حسرة ، أن الناقد الأدبى ليحكم بتراجيدية القصة اذا كانت نهايتها مؤلمة وغير عادلة .. لكننا لم نر نهاية قصة الوجود .. فهذا المصاب الذى تشفق عليه الآن ، وتتأثر لحاله ، قد تتمنى ان تكون فى محله فى الآخرة ، وانما العبرة بالخواتيم .

سعيد : فما هى الحكمة من اختلاف المؤمنين فى عظم المصاب . ومقدار البلاء ؟

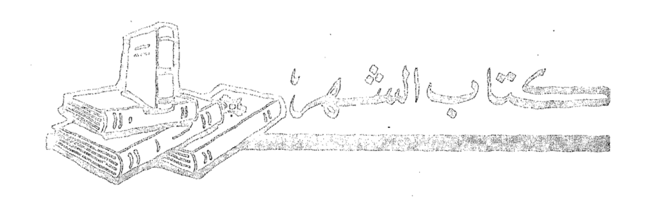
الأستاذ : ان عظم المصاب يتوقف على ايمان الشخص ، فكلما كان ايمانه راسخا زيد بلاؤه ليمس نفسه ، ويتأثر به كيانه ، وتدفعه شدة معاناته الى الاستنجاد بقوة الله والاسترشاد بهديه ، والتضرع على عتبة بابه ، والتبرؤ من الحول والقوة الانسانية والالتجاء المطلق الى الله تعالى ، والتعرف على ضعف نفسه ، حتى لا يأخذه الغرور بسلطانه ، ويستغنى بقوة نفسه عن الاحتماء بقوة الله ، اما من ضعف ايمانه أووهنت نفسه ، فيبتلى بالقدر الذى تتحمله نفسه ، ويثبت له ايمانه . ولهذا ورد فى الحديث الشريف « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على قدر دينه » ولهذا فقد يتألم الانسان لشخص ما أصابه بلاء شديد فى نظره وهو يستغرب فى تحمله

له ، ولكن هذا البلاء ليس شديدا على صاحبه الى تلك الدرجة الكبيرة ، كما ان الناس يختلفون فى نوعية المصائب التى يتأثرون بها فقد يتأثر احدهم لموت ولده تأثرا بالغا ، بينما هو لا يتألم كثيرا لخسارة فادحة فى ماله وبالعكس ، كما انهم يختلفون فى درجة وحدة الشعور بالمصيبة والاحساس النفسى بوقعها ، لهذا كله فان المؤمن لا يسعه الا الرضا والتسليم بالحكمة الالهية فى اختيار عبيده بشتى أنواع المحن والابتلاءات والمصائب .

سعيد : لقد سكبت فى نفسى ايمانا راسخا ، لا تؤثر فى بنيانه الشبهات ولا تزعزعه المصائب ولكن شبهتى الأخيرة هى معرفة سر ما نرى فى العالم بأسره من الشر ، والاختلاف ، والتضاد ، والضغن ، والحروب والفتن ؟

الاستاذ : السر واضح ، والسبب بين ، عندما لا يكون للناس جميعا مرجع واحد يؤوبون اليه فى اختلافاتهم ، ويثوبون بفضله الى رشدهم ، ويتبينون بواسطته الحق من الباطل ، هذا المرجع الذى ينظر الى الجميع نظرة واحدة ، نظرة حب ورحمة وعدل ، ثم يشرع للجميع شرعة تكفل حقوق الجميع وتصلح حالهم ، وتساوى بينهم ، حينئذ — حين فقد الناس أو اعراضهم عن هذا المرجع — سيختلف الناس باختلاف مصالحهم ، فتتنوع اتجاهاتهم ، وتتباين آراؤهم ، وتتعدد تياداتهم تبعا لذلك ، فيخطط كل شخص لنفسه ، وكل طبقة لمصلحتها ، وكل شعب لمنافعه ، ويتدخل الهوى الانسانى ، والعقل الانسانى القاصر ، والعلم الانسانى الجزئى فى رسم النظم والمبادىء والمخططات الخاصة لكل منه ، فيقع التصادم بين مختلف الفئات ، فتسود الفوضى ، ويعم الاضطراب ، وتتقطع الأواصر ، وتوقد الحروب وتثار الفتن ، ويضرب الظلم أطنابه ، ان ما تراه من هذه المظاهر المؤلمة ليست الا من صنع الانسان الذى غفل عن ذكر الله ، وأعرض عن شرعه ، واتبع هواه ...
سعيد : اذا ما أردنا سعادة نفوسنا ، وسلامة عقولنا ، وصلاح أحوالنا ، واستقرار مجتمعاتنا ... اذا ما رغبنا فى خير الانسان ، وعزمنا على تخليصه من آلامه وعذاباته المضنية ، وشفائه من أمراضه النفسية ، واشباع خوائه الروحى ، وحل مشاكله العقائدية .. اذا ما اردنا للانسانيةجمعاء الخير والسلام ، والتقدم والتحاب ، فلنعد الى الله ، لنعد الى شرعه ..

سعيد : اما انا فساعود اليه .. سأعود اليه .. سأبذل ما فى وسعى لابلاغ هذا الخير لكل انسان تجمعنى به علاقة قرابة او صداقة او زمالة .. ثم انى لا انسى فضلك العميم لقد جعلك الله سببا لهدايتى .. وقاربا لنجاتى .. سأكون وفيا لك ما دمت .. وكان الأستاذ يردد فى نفسه الحديث النبوى الشريف « لأن يهدى بك الله رجلا واحدا خير لك من الدنيا ومافيها » ثم تمتم « الحمد لله » ..





تاليف الدكتور حسين مؤنس

عرض الاستاذ احسان صدقى العمد

كتاب « عالم الاسلام » الذى صدر مؤخرا للدكتور حسين مؤنس يعتبر بحق دراسة جديدة فى تكوين العالم الاسلامى وخصائص الجماعات الاسلامية . وتبرز أهميته للمكتبة العربية فى كونه محاولة رائدة فى ميدان التاريخ الاجتماعى الاسلامى الذى لا يزال ميدانا بكرا يستنهض همم الباحثين الجادين . وقد أحاط الكتاب فى صفحاته الستمائة بأهم الظواهر الاجتماعية العامة التى اشتركت فيها كل المجتمعات الاسلامية خلال العصور الوسطى . فكان ذلك كما يقول المؤلف بمثابة مقدمة أو مدخل للتاريخ الاجتماعى لبلاد الاسلام .

والمؤلف الذى يعمل حاليا أستاذا للتاريخ الاسلامى فى جامعة الكويت، علم معروف فى الاوساط العلمية والعربية والدولية ، وله باع طويل وجهود مشكورة فى ميدان التعليم الجامعى وفى ميادين البحث والتأليف والترجمة والتحقيق والنشر فى كل ما يتعلق بتاريخ الاسلام والمسلمين .

وكتابه الجديد « عالم الاسلام » يمتاز كغيره من مؤلفاته وأعماله بجدية البحث والرصانة ، العلمية ، وقد تمكن المؤلف بثقافته الواسعة واشرافة منظوره التاريخى ودقته المعروفة فى الملاحظة والتحليل والاستنتاج من الوصول الى كثير من المعلومات القيمة التى تغلب عليها

الجدة والموضوعية . واذا كان المستشرق الالمانى ادم ميتز (ت١٩١٧) قد تطرق الى بعض ظواهر المجتمع الاسلامى فى كتابه « نهضة الاسلام » الذى نقله الاستاذ الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده بعنوان الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى، فان دراسة ميتز برغم أهميتها وريادتها لم تشمل دراسة الظواهر الاجتماعية الاسلامية فى جميع بلاد الاسلام منذ نشأتها وحتي بداية النهضة الاسلامية الحديثة كما فعل الاستاذ مؤنس ، فضلا عن الروح والمنظور الاسلامى الذى نحسه بوضوح فى كتابه « عالم الاسلام »

ضم هذا الكتاب فى دفتيه ستة فصول ، والحق المؤلف بكل منها قائمة بالمراجع الخاصة به مما يفتح آفاقا لطالب التوسع فى أى بحث من مباحث الكتاب .

وجاء الفصل الأول تعريفا موجزا بعالم الاسلام كمدخل لا بد منه لتحليل بناء المجتمع الاسلامى وتبيان ملامحه المميزة . وسلط فيه ضوءا كاشفا قويا على قيام الجماعة الاسلامية فى المدينة المنورة ، والأسس الاجتماعية التى أقامها الرسول صلى الله عليه وسلم عليها ، والتطور السريع الذى شهدته الجماعة الاسلامية بعد الرسول . وخلص الى أن هذه الجماعة والدولة الاسلامية كانتا شيئا واحدا حتى انتهاء خلافة عمر بن الخطاب بسبب سير الاثنتين على قانون أخلاقى واحد والتزامهما مبادىء الاسلام . وبعد ذلك شهد التاريخ الاسلامى بداية الانفصال بين الجانبين ، وتجلت هذه الظاهرة فى أوضح صورها زمن الدولة الأموية ، ثم استمرت ظاهرة الانفصال هذه بعد ذلك ، وأخذ البون بين الجماعة الاسلامية والدولة يتسع حتى أصبحنا نجد اليوم فى كل المجتمعات الاسلامية كيانين متميزين هما الجماعة والدولة. ويقرر المؤلف أن هذه الظاهرة هى التى جعلت المجتمعات الاسلامية تنظم نفسها بنفسها دون الاعتماد على الحكومات ، الامر الذى يجعل التاريخ الحقيقى للأمة الاسلامية هو تاريخ الجماعات التى تكونت منها . وتناول الفصل باسهاب ظاهرة انتشار الاسلام وأكد أن الفتوح الاسلامية انما فرضت لكسر الحواجز المادية التى تقف فى وجه الدعوة الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والقدوة الصالحة .

ويقول الأستاذ حسين مؤنس فى هذا الصدد أيضا إن جانبا كبيرا من الفضل فى نشر الاسلام يعود الى قوة هذا الدين الذاتية وفضائله وسلامة مبادئه ، وان هذه القوة والمبادىء هى السر فى اجتياز الجماعات الاسلامية للاخطار الكبيرة التى تهددت وجودها . وتحدث فى هذا المجال عن مدى انتشار الاسلام فى أوروبا والامريكتين وأفريقيا ، ولكنه حذر فى نفس الوقت من سياسات الدول الافريقية الحديثة التى تضع العراقيل فى سبيل انتشار الاسلام ، ودعا الى ازالة هذه العراقيل مؤكدا أن الاحصائيات التى تنشر عن عدد المسلمين غير صحيحة وأن عددهم يصل اليوم الى حوالى سبعمائة مليون مسلم .

وتناول المؤلف فى الفصل الثانى قيام الجماعة الاسلامية الاولى فى المدينة المنورة ، والأسس القانونية والاخلاقية والحضارية التى بنيت عليها باعتبار أن هذه الجماعة ظلت المثل الأعلى الذى تتطلع اليه جميع الجماعات الاسلامية فيما بعد . وأشار الى الخطوات المدروسة التى قام بها الرسول الكريم لتنظيم الجماعة الاسلامية الاولى وعلاقاتها بسكان المدينة والمقيمين فيها والوافدين

عليها . وقدم الدكتور مؤنس فى هذا الفصل دراسة جديدة ورائدة لدستور المدينة الذى يتمثل فى الكتاب الذى كتبه الرسول بين المهاجرين والانصار ومن انضم اليهم من سكان المدينة ، وبين أهمية هذا الكتاب كوثيقة دستورية من الطراز الاول وصدورها عن التفكير القانونى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصه على ابراز حقوق الجماعة وواجباتها فى اتفاق حر واضح باعتبار أن الحرية كانت أساس الحياة فى الجماعة التى كانت تضم رجالا أحرارا ذوى اعتزاز بدينهم وجماعتهم واشخاصهم . والى هذا الاعتزاز كما يقول الأستاذ مؤنس ترجع الانتصارات التى كسبوها فى ميادين الشرف والجهاد والحكم والادارة . وقدم المؤلف بعد ذلك صورة عامة للمجتمع الاسلامى وملامحه البارزة كما بدت فى ايجابياتها وسلبية غير المشرف منها .

ووقف طويلا عند الاخيرة بالتحليل والكشف عن الاسباب ، واوضح أن تلك النواحى ترجع لظروف قاسية ألمت بالمجتمعات الاسلامية فى العصور الوسطى وبخاصة المتأخرة منها ، وذهب الى أن هذه الظروف هى التى جعلت الناس فى تلك العصور يتصرفون بطريقة بعيدة عن مألوف ما عهد منهم باعتبار أن تدهور الظروف حول الانسان يؤدى الى انحطاط فى مستوى تفكيره وردود الفعل التى تصدر عنه . وأبرز فى هذا الفصل ست عشرة ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية لدى المسلمين فى العصور الوسطى ، أهمها غلبة الروح الجماعية وعدم وجود طبقات متمايزة فى المجتمع وتأكد الانفصال بين الحكومات القائمة وجماهير الأمة ، وقلة حماس الناس للاشتراك فى جيوش الدول ومبادرة المجاهدين الى التطوع من انفسهم لحماية ديار الاسلام والذود عنها ، فقويت روح الاعتماد على النفس عند الجماعات الاسلامية ، ووجدت الجماهير سبيلها الى النفوذ والاحترام عن طريق الدين والعلم الامر الذى جعل الفقهاء وأهل العلم يصلون الى مراكز القوة ويصبحون فى نظر الجماهير رؤساء الناس وشيوخ المجتمع ، وتطرق المؤلف بعد ذلك الى تطاعى المدن والريف فى المجتمع الاسلامى فى العصور الوسطى ، وكيف استطاع الفلاحون القيام بمسؤولياتهم كاملة تجاه المجتمع باعتبارهم عماده الاقتصادى ، أما الاضمحلال الذى أصاب معظم المدن الاسلامية فعزاه المؤلف الى غياب الهيئات البلدية المسؤولة عن المرافق والمنشآت العامة ومواجهة الاخطار التى تهددها وخالف بذلك رأى العلامة ابن خلدون فى خراب الأمصار القائم على القانون الطبيعى لنمو الاشياء وهرمها وفنائها . ويرى المؤلف أن المجتمعات الاسلامية استطاعت النجاة بنفسها برغم كل الظروف والاخطار بفضل نظام الأسرة الاسلامية المتماسك فى الاسلام . وافرد المؤلف فصلا مستقلا عن الاحوال الاقتصادية فى بلاد المسلمين ، وتحدث عن النشاط البرى والبحرى للشعوب الاسلامية ولاحظ ارتفاع نسبة التجار من عرب الجنوب والخليج العربى وكيف كان هؤلاء يفضلون لدى هجرتهم من الجزيرة الموانىء والمراكز التجارية حيث نجحوا فى تكوين الثروات والبيوت التجارية . واشار الى مراكز التجارة وطرقها ومعاملاتها المالية والى الدور الذى لعبه اليهود والنصارى فى هذا المجال بفضل روح التسامح التى سادت العالم الاسلامى الذى كان له الفضل فى انقاذ اليهود من الفناء فى العصور الوسطى ، وكيف تنكروا فيما بعد للمسلمين وفضلهم . واكد على ارتباط الازدهار الاقتصادى بتوفر الأمن ومستوى

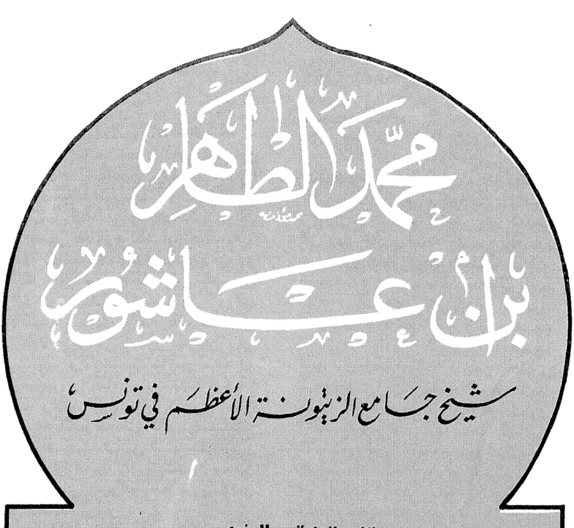
نظام الحكم ، وان هبوط هذا المستوى وطمع الحكام في ابتزاز ما في أيدى الناس من الاموال أدى الى أنهيار الاقتصاد الاسلامي بكافة أشكاله .

وخصص المؤلف فصلا آخر للفنون التي أبدع المسلمون فيها كالعمارة والنحت والتصوير والموسيقى والقصص الشعبي وخيال الظل ، وأكد أن الفنون ظاهره انسانية عامة لا علاقة لها بالترف كما ذهب ابن خلدون ووقف وقفة طويلة عند الموسيقى والغناء وموقف الفقهاء منها ، ورأى أن السماع الذى كرهه أهل الفقه هو ما كان يجري في قصور المترفين وفي دور اللهو والحانات . واكد أن الموسيقى والغناء لم يستنكرا لذاتهما بل لما رافقهما وانه لا حرج في السماع للنغم الجميل النبيل الذى يعزف للسمو بالنفس الى المعاني العالية أو الغناء الذى يتضمن معاني العفة والكرامة والوطنية ، ويؤدى الى حشمة ووقار .

واختتم المؤلف كتابه بالحديث عن عصور الركود الاسلامية التي تغطي الفترة الواقعة بين القرنين الرابع عشر والثامن عشر للميلاد . وأوضح ان الدول الاسلامية التي ظهرت خلال هذه الفترة برغم ما قامت به من جهود مشكورة في رد العدوان الاوروبي عن اجزاء واسعة من العالم الاسلامي ، الا انها لم تترك آثارا باقية في اصلاح شعوبها أو النهوض بمستواها الفكري على غرار ما فعلت الدول الاوروبية المعاصرة لها ولاحظ أن الجماعات الاسلامية جميعا تدهورت حالها وسادها الفقر وأخلاقه المتمثلة في سقوط الهمم وفساد الاخلاق وتفشي الجهل والمرض وضياع المستويات والمعايير وقد صور المؤلف الآثار المترتبة على أخلاق الفقر أصدق تصوير حين قال : « ان المجتمعات التي تسودها نفسية الفقر تجد الناس جميعا يتخلقون بأخلاق الجياع حتى الحاكم وصاحب الأمر تراه ينهب ويعتدي دون حياء لأنه وان لم يكن فقيرا الا انه تسيطر عليه روح الفقر وأخلاقه كما لاحظ أن الحكومات التي عرفتها عصور الركود الاسلامية كانت طرازا واحدا سيئا من الاستبداد والظلم والافلاس المالي والعجز العسكري . وقرر أن السبب الرئيسي لقيام هذه الظاهرة يعود الى تبني نظام الحكم المطلق الذي أسقط الجماهير من حسابه ولم ينتفع بقاعدة الشورى الاسلامية في كل ما يتصل بمصالح الأمة ، في وقت كانت فيه الدول الاوروبية المعاصرة تزيد من اهتمامها واعتمادها على شعوبها . لكن المؤلف المنصف لاحظ أن الركود السياسي والاقتصادي والعسكري الذي ساد العالم الاسلامي لم يشمل الناحية الفكرية ، اذ شهدت تلك العصور نشاطا فكريا له ملامحه المميزة . وانجبت كبار الموسوعيين كالنويرى وابن فضل الله العمري والقلقشندي وابن تيمية وابن خلدون والمقريزي والعيني وابن تغري بردي وابن حجر والسخاوي والزبيدي والجبرتي وغيرهم كثير . وعزا هذه الظاهرة الى حيوية الفكر العربي لارتباطه بالاسلام وقيمه الثقافية والاجتماعية الخالدة .

وكان المؤلف يود أن يختم كتابه عالم الاسلام بفصل ضاف عن النهضة الاسلامية الراهنة التي أعقبت عصور الركود ، ولكنه لم يفعل لأن الحديث عن عصر النهضة طويل ومتشعب يحتاج الى كتاب لا فصل ، وكان الاستاذ مؤنس قد تناول هذا الموضوع من قبل في كتابه « الشرق الاسلامي في العصر الحديث » الذي يعيد الآن النظر فيه ليعالج عصر النهضة بشكل اوفى واكمل .

أمد الله في عمره ونفعنا بالمزيد من ابحاثه وعلمه ●



للأستاذ : انور الجندى

فى خلال عام ١٣٩٣ الهجـرى ودع عالمنا امام جليل عرفته دوائر الفكر الاسلامى منذ اكثر من سبعين عاما عاملا ناهضا محققا كان فى بدء حياته الفكرية على موعد مع لقاء الامام محمد عبده فى تونس عنـــدما زارها فى رجب ١٣٢١ (الموافق ١٩٠٣) ومنذ ذلك الوقت الى ان وورى التراب وهو عامل على النهج ، سائر على الطريق ، كقائد من قادة حركة اليقظة الاسلامية لم يتخلف ولم يتوقف بالرغم من طول الطريق وارتفاع السن وتعقد المشاكل وتعدد القضايا .

يقول نجله العلامة (محمد الفاضل ابن عاشور) في تأريخه للحركة الفكرية الاسلامية في تونس : « انه كان أكثر الناس التفافا حول الامام محمد عبده والتحاما به مدة اقامته بتونس وكان رفيقاه من رجال الخلدونية الشيخ سالم أبو حاجب والشيخ محمد النخلي وكان ثلاثتهم من العاملين في تأييد الفكرة الاصلاحية ويقول الفاضل في تصوير دور والده (الطاهر) رحمة الله عليهما : « والشيخ محمد الطاهر بن عاشور يومئذ شاب في الرابعة والعشرين يعد أبرز مدرسي الجامع شبابا وذكاء وعلما وادبا وأسبقهم الى اتباع استاذيه الشيخ سالم أبو حاجب والشيخ محمد النخلي في تأييد الفكرة الاصلاحية فكان من أنصار الجمعية الخلدونية ومن اعضاء مجلس ادارتها وكانت محبة الطلبة الزيتونيين فيه بالغة مبلغا عظيما » .

« واقامت الخلدونية مجمعا عاما القى فيه الاستاذ الامام محاضرته القيمة عن (العلم وطرق التعليم) فكانت تأكيدا وتقوية للحركة الاصلاحية واصبحت أساس العمل لحركة الاصلاح الزيتوني وقد نشرتها جريدة الحاضرة تباعا ونقلتها عنها المؤيد والمنار وثمرات الفنون » .

تلك هي صورة هذا العلامة منذ ذلك الوقت البعيد قبل سبعين عاما على وجه التقريب وقد قص طرفا من حياته وجهاده في كتابه (اليس الصبح بقريب) الذي صدر عام ١٩٦٠ فأشار الى أنه حصل على شهادة التطويع عام ١٣١٧ هـ وأنه شارك في تأسيس الجمعية الخلدونية ١٣١٤ وكان الشيخ محمد بن الخوجة هو شيخ الاسلام في عهد تلمذته . كما أشار الى أن جمعية قدماء المدرسة الصادقية تأسست عام ١٣٢٤ برئاسة (خير الدين بن مصطفى) وأنه شارك فيها مع عبد الرحمن الكعاك والطيب ابن عيسى والصادق النيفر وبلحسن النجار ومحمد بن الصادق بن القاضي ومحمد الخضر بن الحسين ثم راس هذه الجمعية بعد ذلك بقليل .

وقد جاء هذا العمل كله في دائرة اللقاء بالشيخ محمد عبده سابقا له وتابعا بعد سفره وقد أكد هو هذا الاتصال في كتابه (اليس الصبح بقريب) حين قال : (في عام ١٣٢٠ (١) هـ صادف ورود الاستاذ الشيخ محمد عبده الى تونس والافكار قد نضجت من الخوض في هاته المسائل ومطالعتها (يقصد دراسة العلوم الاسلامية) فاشرأبت الأعناق الى سماع رأى زعيم النهضة المصرية وما كان الا أن سمعوا عنه خطابه الذي القاه في قاعة الخلدونية وحضره مئات من أهل العلم فأنحى فيه على الحالة المتبعة عندنا وعندهم بما كان سببا لفتح ما بقي مغمضا من عيون الغافلين ولذلك اغضب عليه كافة الجامدين من أهل العلم الا أنهم اعترفوا بوجود خلل في التعليم بالسنتهم وبما كتبوه ومن أهم ذلك واصرحه ما كتبه محمد النجار المفتى المالكي في رمضان ١٣٢١ هـ) .

وقد تضمن خطاب الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده توجيها صالحا للمسلمين في البلاد المحتلة والمستعمرة وهو الاتجاه الى العلم وترك السياسة حتى ينفسح السبيل أمام المسلمين إلى التماس النهضة الحقيقية .

وقال الاستاذ محمد عبده فى خطابه : ان معنى العلم الحقيقى الذى اثنى الله عليه وميز به المهتدين من الضالين هو الكشف عن الأمر الحقيقى بمعنى اذا أراد أن يميلك عنه مميل لا يقدر علي ذلك ، كمن عرف طريقا موصلة الى غاية فلا يعدل عنها مهما حاول مضله فلا يكون العلم حقيقيا ولا تنبعث النفس الى تحصيله الا اذا كان كذلك بالنسبة الى الغاية المطلوبة منه » .

وقد دعا الشيخ محمد عبده علماء تونس الى الأخذ باشياء ثلاثة :

اولا : الجد فى تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طريقها القريبة .

ثانيا : الجد فى الكسب وعمران البلاد من الطرق المشروعة الشريفة مع الاقتصاد فى المعيشة .

ثالثا : مسالة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة . وبهذا الأمر يتم لهم كل ما يريدون من مساعدة الحكومة لهم » .

وقد اشارت جريدة الطان الفرنسية بعد ذلك الى أن فى تونس طائفة معتدلة تعمل لترقية المسلمين فى العلوم والمدنية مع المحافظة على دين الاسلام وأهلها يتبعون التعاليم التى كان يلقيها فى مصر الشيخ محمد عبده والتى تنشر فى مجلة المنار .

— ٢ —

اما علاقتنا المرحوم (محمد الطاهر ابن عاشور) فقد تابع طريق (مدرسة المنار) فى العلم من ناحية وظاهر الاستاذ الشيخ محمد عبده فى كل معاركه بعد ذلك وفى مقدمتها ما اثير حول (مسالة الفتوى الترنسفالية) فى أواخر عام ١٣٢١ هـ وهى التى تتعلق باباحة لبس القبعة واكل ذبائح اهل الكتاب .

وكانت القضية قد أثيرت فى مصر غير أن الشيخ الطاهر فى تونس لم يلبث أن أعد رسالة فقهية مدعمة بالادلة على المذهب المالكى لتأييد مفتى الديار المصرية فى هذا الامر نشرت يومئذ منسوبة الى عالم تونسى ثم اشار صاحب المنار من بعد انها للشيخ ابن عاشور .

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فقد نمى الشيخ الطاهر مفاهيم العلم ومناهجه وشرع يكتب فى المجلات الاسلامية حول تجديد الدراسات الاسلامية واصلاح التعليم الاسلامى وفى احدى دراساته التى نشرتها مجلة السعادة العظمى يدعو الى (اقامة نبراس مبين بين يدى الباحثين يكون متحفظا فيه من عواطف الأهواء والشبهات) فهو يرى ضرورة قيام التناظر والبحث دون أن يكون ذلك محفوفا بتعصب أو اضطهاد . كذلك فهو يدعو الى شجب الحجر على الرأى لأن ذلك (يكون منذرا بسوء مصير الأمة ودليلا على انها قد أوجست فى نفسها خيفة من خلاف المخالفين وجدل المجادلين) .

فهو ينهى عن أمرين : ضيق فى الأفكار وقصور عن اقامة الحق . ويرى أن قيد الاستعباد اذا خالط نفوس أمة كان سقوطها أسرع من هوى الحجر الصلد » . ولقد امتد هذا الفهم وهذا النضال من أجل تحرير مناهج الدراسات الاسلامية والتعليم طوال حياة مترجمنا الذى مد الله له فى العمر فتوفي فى الثالثة والتسعين بعد حياة حافلة تقلد فيها مختلف المناصب الاسلامية الكبرى وكان آخرها شيخ جامع الزيتونة الأعظم فى تونس .

وقد شارك خلال حياته الفكرية

الطويلة فى مختلف المسائل والقضايا التى تناثرت فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى ولكنه كان حريصا على أمرين كبيرين .

(الأول) : اصلاح التعليم الاسلامى وقد أورد فى كتابه (أليس الصبح بقريب) دراسة تاريخية مطولة لما قام به فى ذلك ولما شارك به من جهاد ونضال ومعارك فى سبيل اصلاح التعليم الاسلامى منذ عام ١٣٢١ هجرية حتى السنوات القريبة قبل وفاته بقليل . يقول :

(قد كان حدا بى حادى الآمال وأملى على ضميرى منذ عام (واحد وعشرين وثلاثمائة وألف) للتفكير فى طريق اصلاح تعليمنا العربى الاسلامى الذى اشعرتنى مدة مزاولته متعلما ومعلما بوافر حاجته الى الاصلاح الواسع النطاق فعقدت عزمى على تحرير كتاب فى الدعوة الى ذلك وبيان أسبابه) ثم أشار الى أنه لم يدع فرصة خلال هذه السنوات السبعين الى اصلاح التعليم الا انتهزها وقدم فيها مقترحاته الضافية وقد اتخذ من نفسه مثالا لمناهج التعليم التقليدية التى لو أزيحت لحققت الكثير له يقول : « انى على يقين اننى لو اتيح لى فى فجر الشباب التشبع من قواعد نظام التعليم والتوجيه لاقتصدت كثيرا من مواهبى ولاكتسبت جما من المعرفة ولسلمت من التطوح فى طرائق تبين لى بعد حين الارتداد عنها مع انى اشكر ما منحت به من ارشاد قيم من الوالد والجد من نصحاء الاساتذة » .

وفى جولة واسعة وعميقة وثرية بالتجربة والخبرة يكشف عن أسباب تأخر العلوم الاسلامية ويلخصها فى عبارة مضيئة هى :

« وجود مسائل لا حاجة اليها وإهمال مسائل وعلوم مهمة أو ان شئت فقل « الزيادة والنقصان » .

ويفسر ذلك فى قوله :

خطأ تعليم ما يفشل عزائم النفوس مثل تعاليم الزهد الغالى وتعليم الحيل والمغالطات ومساوىء الأخلاق .

كذلك يشير الى خطأ الاعجاب الى درجة التعصب بآراء المتقدمين كيف كانت وتنزيهها عن الخطأ «فانحصر العلم فى نقل واحد عن آخر وربما وجدت فى التآليف نقل قولين متجانبين وهما متضادان من غير أن يبحث المؤلف فى صحة أحدهما » .

(الثانى) تأكيد عظمة الشريعة الاسلامية والكشف عن ميزات النظام الاجتماعى فى الاسلام : وذلك فى كتابه الذى صدر فى السنوات الأخيرة من حياته تحت عنوان (أصول النظام الاجتماعى فى الاسلام) وقد تحدث فيه عن علاقة دين الاسلام بالمدنية وتأثيره فى ارتقاء الأمة وذلك بالكشف عن تاريخ الأمة كما كانت زمن ظهوره .

ويرى أن أصول النظام الاجتماعى فى الاسلام تقوم على (ضبط) حالة المسلمين فى مجتمعهم عن طريق اصلاح الأفراد والاصلاح الاجتماعى .

فهو يرى أن الاسلام دين الفطرة ودين الاعتدال والتوسط ودين السماحة وان (كل هذه الخاصيات نابعة من ميزة الاسلام الكبرى وهى أن هذا الدين دولة لأن دعوة الاسلام تخالف ما سبقها مخالفة بينة من جهة كونه دينا عاما حيث استعد البشر الى قبول دين عام ومن جهة امتزاج الدين مع الشريعة بما يضبط للأمة أحوال نظامها الاجتماعى فى تصاريف الحياة كلها مكملة للنظام الدينى الذى هيأ

أفراد الحياة للاتحاد والمعاصرة .

كما يشير الى أن هناك خصلتين أساء الجمهور فهمهما : هما التوكل والرضى بالقضاء والقدر وقد كشف عن عظمة مفهوم الاسلام فيهما . ثم خلص الى ضرورة قيام (الجامعة الاسلامية) مبينا طرافة الاسلام الذى جعل جامعة الدين هى الجامعة الحقة للمسلمين والغى ما عداها من الجوامع فاعتبرها جوامع فرعية ما لم تعتمد على الجامعة الكبرى وقال (ان هذه الجامعة الاسلامية لا تعادلها جامعة أخرى لأن جوامع الأنساب والمواطن جوامع اصطلاحية قاصرة » .

— ٢ —

من خلال دراسة نتاج العلامة محمد الطاهر بن عاشور وآثاره فى الحركة الفكرية الاسلامية عامة والتونسية خاصة وأثره فى الجامعة الزيتونية والتعليم الاسلامى ودراسته للنظام الاجتماعى الاسلامى ودفاعه عن مفهوم الاسلام الكامل الجامع دينا ونظام مجتمع على النحو الذى تتسم به كل آثاره وخاصة كتابه الذى رد فيه على ما كتبه (على عبد الرازق) عن الخلافة وأصول الحكم وهو من خير الدراسات التى واجهت أهداف هذا الكاتب ومن تابعه فى محاولة انتقاص مفهوم الاسلام ومنهجه الجامع للاسلام دينا ودولة . أقول من خلال هذه الآثار كلها ومن خلال ذلك العمر المديد العريض الذى لم يتوقف فيه هذا العلامة عن العمل وارتباطه الواضح بحركة اليقظة الاسلامية من مصادرها الأولى ومنابعها منذ دعا بها الامام محمد بن عبد الوهاب وتابعه عليها المصلحون المسلمون نجدنا قادرين على ابراز مكانة هذا العلامة بين أهل جيله وقومه من ناحية وبين دعاة الاسلام البارزين من ناحية أخرى .

أما فى تونس فهو من أبرز ذلك الرعيل الذى عرف فيه عبد العزيز الثعالبى ومحمد الخضر حسين والصادق النيفر وهم صفوة المجاهدين فى الحقل الاسلامى والذين تابعوا مدرسة المنار حين اتجهت غربا واتصلت بقادة النهضة فى الجزائر من أمثال عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الابراهيمى وأحمد توفيق المدنى ومبارك الميلى وغيرهم وكذلك اتصالها بنهضة الاسلام فى المغرب ومن العاملين لها محمد العربى العلوى ومحمد بن كنون وشعيب الدكالى وتابعهم على الطريق العلامة علال الفاسى وصفوة من العاملين .

هذا فى الجناح المغربى أما فى المشرق فقد كان على طريقهم عبد الرازق البيطار وجمال الدين القاسمى فى دمشق ومحمد رشيد رضا فى مصر ونعمان أبو الثناء الالوسى فى العراق فهى مدرسة ممدودة متصلة مترابطة تسير فى طريق واضح هو نفس الطريق الذى سار فيه الامامان الجليلان : أحمد بن حنبل وابن تيمية .

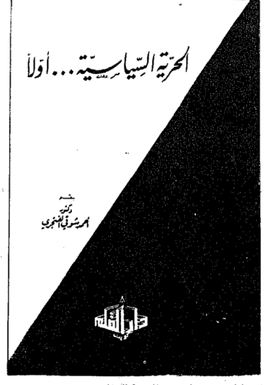
واذا كان لم يتح لنا أن نلتقى بهذا العلامة الكبير فقد رأينا ثمرة غرسه فى ابنه النابغ الذى قضى مسرعا محمد الفاضل بن عاشور ، ذلك النموذج الطيب الكريم الجامع بين علم الاسلام وعلم الغرب ولغته من حيث هذا كله فى خدمة الاسلام رحم الله العلمين الجليلين وكتب لهما منازل الصديقين .

---

(١) أشار الشيخ رشيد رضا فى المنار وفى كتابه عن الاستاذ الامام أن ذلك كان صيف ١٣٢١ هـ ..

اعداد الاستاذ عبد الستار محمد فيض





الحرية السياسية .. اولا
للدكتور احمد شوقى الفنجرى

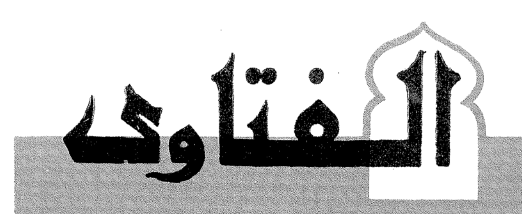
كتاب يقارب التسعين صفحة ، يبحث بايجاز دقيق مفهوم الحرية السياسية ، ويتناول بأسلوب شيق سلس العلاقة بين الحاكم المحكوم ، وحق الرعية فى حكم نفسها بنفسها ، والمبادىء والقواعد التى نادت بها الأديان السماوية والمذاهب الوضعية ونصت عليها الدساتير الحديثة ، كما أنه يتعرض الى الاسباب التى ادت الى تخلف أمتنا عن ركب الحضارة ، وكذلك أسباب فشل الديمقراطية فى عالمنا العربى ، ثم أخيرا يرسم لنا المؤلف الطريق السليم الى الحرية السليمة وذلك بالعودة الى روح الاسلام وتعاليمه النبيلة التى تنادى بالتراحم والتعاون والعدل والمساواة .

والكتاب من نشر دار القلم ص.ب (٢٠١٤٦) الكويت .

لمحات فى الثقافة الاسلامية
للأستاذ عمر عوده الخطيب

كتاب يرمى الى تزويدنا بثقافة نافعة عن اسلامنا ، تؤدى الى ترسيخ مبادئه والايمان بمثله ، وفهم نظمه ، ورد الشبهات عنه ، واحباط المكائد التى تحاك ضده من أعدائه وبخاصة فى المضمار الفكرى والثقافى — وهو يزود العقل بالحقيقة الناصعة عن هذا الدين وسط ضباب كثيف من أباطيل الخصوم ، ويربى فيه ملكة النقد الصحيح التى تقوم المبادىء والنظم والمذاهب التقويم السليم .

والكتاب يحتوى على ستة فصول تشمل كل مدلولات الثقافة . منها الثقافة والمجتمع ، والثقافة والحضارة ، وركائز الثقافة الاسلامية وخصائصها والقوى المعادية لها ، والاستشراق والثقافة . وغير ذلك مما احتواه الكتاب المذكور الذى يقع فى (٣٨٠) صفحة ومن نشر الشركة المتحدة للتوزيع ص ب (٧٤٦٠) بيروت — لبنان .



وجهت هذه الاسئلة الى فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل فاجاب عليها بما يلى :

هجر القرآن

السؤال :

ما تقولون فيمن يهجر القرآن العظيم وهو ممن يحسن القراءة ويعد نفسه من الكتاب هل عليه اثم بذلك .. ؟

الاجابة :

أولا ينبغى أن نعرف معنى الهجر ، فهجر القرآن ذكره الله تعالى فى كتابه بقوله : ((**وقال الرسول يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا**)) .. قال ابن كثير : وذلك أن المشركين كانوا لا يصغون الى القرآن ولا يستمعون اليه كما قال تعالى عنهم : ((**وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه**)) فكانوا اذا تلى عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام بغيره فهذا من هجرانه ، وترك الايمان به وترك تصديقه من هجرانه ، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه ، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه ، والعدول عنه الى غيره

من شعر أو قول أو غناء أو كلام او طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه ، وقال ابن القيم رحمه الله فى الفوائد : هجر القرآن أنواع :

أحدها : هجر سماعه والايمان به والاصغاء اليه .

الثانى : هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وان قرأه وآمن به .

الثالث : هجر حكمه والتحاكم اليه فى اصول الدين وفروعه .

الرابع : هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما اراد المتكلم به سبحانه وتعالى .

الخامس : هجر الاســــتشفاء والتداوى به من جميع أمراض القلوب وأدوائها ، وكل هذا داخل فى قوله تعالى : ((**وقال الرســول يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا**)) وان كان بعض الهجر اهون من بعض . انتهى .

فهذا كلام أهل العــلم فى معنى هجر القرآن ، وأما ما ذكروه فى آداب قراءة القرآن فقالوا : يسن ختمه فى كل اسبوع . يعنى فى سائر السنة قال عبد الله بن الامام احمد كان أبى يختم القرآن فى كل أسبوع وذلك لقول النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو « اقرأ القرآن فى كل اسبوع » رواه ابو داود .

ويكره تأخير ختم القرآن فوق أربعين يوما بلا عذر ، قال الامام احمد اكثر ما سمعت أن يختم القرآن فى أربعين يوما ، ولأنه يفضى الى نسيانه والتهاون به ويحرم تأخيره فوق الاربعين ان خشى نسيانه قال الامام أحمد ما أشد ما جاء فيمن حفظه ثم نسيه .

وروى البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مثل القرآن اذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار كمثل رجل له ابل فان عقلها حفظها ، وان أطلق عقالها ذهبت ، فكذلك صــــاحب القرآن » .

وعن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تعاهدوا القرآن فوالذى نفسى بيده لهو أشد تفصيا من الابل فى عقلها » التفصى التخلص ، يقال تفصى فلان من البلية اذا تخلص منها .

وقال ابن كثير : ومضمون هذه الأحاديث الترغيب فى كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده لئلا يعرضه حافظه للنسيان فان ذلك خطأ كبير ، نسأل الله العافية منه .

وفي حديث عبادة بن الصامت « ما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه الا لقي الله أجذم » رواه الامام أحمد وأبو داود وغيرهما . وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرضت على أجور أمتي حتى القذاة والبعرة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب أمتي فلم ار ذنبا أكبر من آية أو سورة أوتيها رجل فنسيها » . رواه أبو داود والترمذي وغيرهم .

قال ابن كثير : وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى في قوله تعالى : **« ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى »** وهذا الذي قاله وان لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه فان الاعراض عن تلاوة القرآن ، وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير ، وتفريط شديد ، نعوذ بالله منه . الى آخر ما ذكره ابن كثير رحمه الله .

مد الانسان رجليه الى القبلة

السؤال :

ما حكم مد الانسان رجليه الى القبلة سواء حال النوم أو اليقظة وعن اسناده ظهره اليها في المسجد وغيره .. ؟

الاجابة :

قال ابن مفلح في كتاب الآداب الشرعية (فصل) في كراهية اسناد الظهر الى القبلة في المسجد : ويكره أن يسند ظهره الى القبلة ، وقال احمد يعني الامام احمد بن حنبل : هذا مكروه ، وصرح القاضي بالكراهية قال ابراهيم : كانوا يكرهون أن يتساندوا الى القبلة قبل صلاة الفجر ، رواه أبو بكر النجاد الى أن قال (فصل) في كراهية مد الرجلين الى القبلة : ذكر غير واحد من الحنفية رحمهم الله انه يكره مد الرجلين الى القبلة في النوم وغيره . وهذا أن أرادوا به عند الكعبة زادها الله شرفا فمسلم ، وان أرادوا مطلقا كما هو ظاهر العبارة فالكراهية تستدعي دليلا شرعيا ، وقد ثبت في الجملة استحبابه أو جوازه كما في حق الميت ، قال في المقصد في كتبهم : ولا يمد رجليه يعني في المسجد لأن في ذلك اهانة له ، ولم أجد أصحابنا ذكروا هذا ولعل تركه أولى ، ولعل ما ذكره الحنفية رحمهم الله من حكم هاتين المسألتين قياس كراهية الامام أحمد الاستناد الى القبلة كما سبق ، فان هاتين المسألتين في معنى ذلك ، والله أعلم .



اعداد : عبد الحميد رياض

طاعة أولى الامر

ما معنى قول الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تاويلا » .

واذا كانت طاعة اولى الأمر من الحكام واجبة فما حدود هذه الطاعة الواجبة ؟

صالح قايد ــ عدن

لا شك ان الاسلام يوجب على المسلم الطاعة لله فى كل أمر ، فان مقتضى الايمان بالله أن يتلقى المؤمن من الله ما سنه من شريعة أودعها كتابه الكريم بقبول ورضى وتطبيق ، لأن شأن المؤمن بالله المقر بالوهيته العلم بأن طاعة الله واجبة .

ويجب كذلك على المؤمن طاعة رسول الله فيما بلغ عن الله من شريعة ، وسن من قواعد ، لانه لا ينطق عن الهوى ، إن هو الا وحى يوحى اليه ، وطاعة الرسول فى واقع الأمر طاعة لله عز وجل **« من يطع الرسول فقد اطاع الله »** .

وانه لمن النفاق أن يدعى المرء أنه يؤمن بالله ، لكنه يتحفظ فى الايمان برسوله ، لانه لا حاجة له بذلك ، مع العلم أن الذى يؤمن بالله حقا لا بد أن يتلقى بالتسليم والرضا ما شرعه على لسان رسوله ، ومن هنا كانت السنة النبوية الصحيحة مصدرا من مصادر التشريع بعد كتاب الله عز وجل .

بقى أن تعلم ان طاعة أولى الأمر من الحكام المؤمنين واجبة بنص هذه الآية **« واولى الأمر منكم »** ولحديث الرسول صلى الله عليه وسلم **« السمع والطاعة على المرء المسلم فيما احب او كره ما لم يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »** وقوله صلى الله عليه وسلم **« لو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله اسمعوا واطيعوا »** فاذا امر بمعصية أو أحل حراما أو حرم حلالا لم يكن أمينا على شريعة الله ، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا طاعة له ، وليس له فى رقاب المؤمنين طاعة واجبة ، وما أروع ما قاله الخليفة الأول ابو بكر الصديق رضى الله عنه فى خطبته المشهورة « اطيعونى ما اطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لى عليكم » .

وليكن الحكم دائما فيما يعرض من المشكلات ، والفيصل فى كل ما يجد من أقضية ، هو كتاب الله وسنة رسوله ، تمشيا مع المنهج النبوى المأخوذ من الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم : **« تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى »** .

الدين والدولـة

هل هناك فصل بين الدين والدولة ، وهل يمكن ان يستقيم شان الناس فى دولة دون أن يكون لها دين تحتكم اليه .. ؟

عبد الله سيف زايد ـ البحرين

—— ● ——

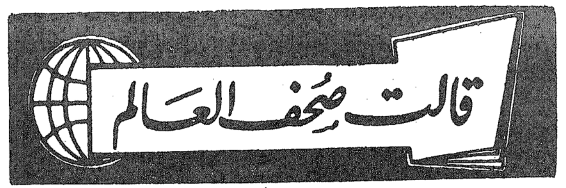
ليس هناك أصلا فصل بين الدين والدولة ، لأن الاسلام يوجب أن تقوم الدولة فى عقيدتها ، وتشريعها ، ومنهجها فى الحياة على أساس من الدين ، فالادارة والقوانين ، وكل ما له أثر فى حياة الأمة ، لا بد أن يستمد صلاحية نفعه من الدين ، والذين يدعون أن التمسك بالدين رجعية ، ودعوة الى التأخر ، وتنكب للجادة ، جانبهم الصواب كثيرا ، بل إنهم يحاولون بذلك أن يحطموا فى الأمـة نهضتها ، وأن يصموها بالجهل ، وأن يبعدوها عن ما يصلحها ، ويقوم معوجها ، وأمامهم الدليل واضح ، فقد حكم الاسلام قرونا طويلة بلاد الاسلام بشريعتـه السمحة ، على خير وجه ، وقد لوحظ أن فصل الدين عن الدولة فى بلاد المسلمين، قد أدى الى أن يأخذ المسلمون بقوانين لا تمت الى دينهم ، وطبيعة تكوينهم بصلة ، ولماذا نترك الدين ، ونفصله عن الدولة وهو الذى يدعو الى إقامة المجتمعات القوية على أساس من العدالة الاجتماعية ، دون مظالم ، والمساواة الحقة دون أثرة ، والفرص المتكافئة دون احتكار واستغلال ، والحياة الكريمة دون بطالة وكسل .

وهذه هى الدولة فى ظل الاسلام ، كل متماسك كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

فلا دولة مدعمة القوائم بلا دين يشد من أزرها ، ويكون صخرة تتحطم عليها معاول الهادمين الداعين الى فصل الدين عن الدولة ، وأمامنا قول الله تعالى « **وأن احكم بينهم بما أنزل الله** » وقوله سبحانه « **اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء** » وقوله سبحانه « **والذين إن مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** » .

وخلاصة القول أن الدولة بلا دين جسد بلا روح ، فقوام الدولة المسلمـة دينها ، وفصلها عن دينها حكم عليها بالفناء ، وهاوية تتردى فيها بلا روية .

وان كان هناك دول أقامت صرحها على أساس من الالحاد واللادينيـة ، فانها لا شك منهارة من داخلها يتحكم فيها شرذمة من الأراذل لا ترعى فى الناس إلا ولا ذمة ، لأن أساس العدل فيها متداع ، ورباط المجتمع فيها مفكك العرى ، ولا تلبث أن يزول سلطانها من النفوس فيعيش أبناؤها نهبا للرذيلة، وهدفا للانحلال البغيض المقيض للدعائم ، فيبدون وقد مزق اللهو كيانهم ، وهذه الحقيقة الماثلة أمامنا فى المجتمعات اللادينية فى الامم التى اتخذت لنفسها خطا غير متلائم مع الدين ، بل ومناف لكل دين تؤكد بلا خفاء انه لا يمكن أن يستقيم شأن الناس بلا دين تحتكم اليه والاسلام هو غاية ما تصبو اليه الانسانية .



رسالة الأزهر

تحدث فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر عن رسالة الأزهر وذلك فى مقابلة أجراها معه مندوب صحيفة (أخبار العالم الاسلامى) بمكة ، فقال فضيلته :

نشر العلم الاسلامى هو رسالة الأزهر الخالدة . وهذه الرسالة تتحقق بطرق شتى منها :

١ ــ استقبال الوافدين من مختلف الأقطار الاسلامية لتعليمهم فى رحاب الأزهر ، وقد بنى الأزهر من أجلهم مدينة سكنية تتسع لخمسة آلاف ، يأكلون فيها ، ويبيتون ويتعلمون ، على نفقة الأزهر ، ويأخذون بعض المال كمصاريف شخصية . وقد رصد الأزهر الآلاف المؤلفة من أجل ذلك .

٢ ــ واذا كان الأزهر يستقبل الوافدين فانه فى الوقت نفسه يرسل المبعوثين الى مختلف البلاد فى العالم يدرّسون ويعظون وينشرون العلم الاسلامى فى بقاع هى فى حاجة الى ذلك . وقد رصدت الدولة لذلك نصف مليون من الجنيهات المصرية .

٣ ــ والدعوة الى الله عن طريق الكتب والرسائل تطبع وتباع بثمن رمزى .

٤ ــ والدعوة الى الله عن طريق رد الشبهات والرد على الانحرافات التى تفد من الغرب فى صور مختلفة .

٥ ــ ومن المشاريع التى يزمع الأزهر القيام بها ، مشروع دائرة المعارف الاسلامية ، وهو مشروع جليل يخطط الأزهر له ..

٦ ــ ويقوم الأزهر الآن بعمل تفسير وسيط للقرآن وهو يصدر تباعا ، وقد صدر منه بالفعل بعض الأجزاء .. وهكذا يتابع الأزهر الدعوة الى الله بشتى الوسائل وفى حدود امكاناته المادية ..

ولا يمكن أن ننهى الحديث عن نشاط الأزهر دون أن نشير الى مشروعين جليلين :

احداهما : مشروع تقنين الشريعة الاسلامية ، وقد انتهى الأزهر من تقنين الجانب المدنى من الشريعة بحسب كل مذهب ، وأصدر فى ذلك كتيبا عن كل مذهب مستقلا ، ثم بدأ بتقنين الشريعة على وضع موحد ، أى انه يختار من المذاهب الأقوى حجة والأثبت دليلا والانسب للعصر الحاضر ..

اما المشروع الثانى : فهو موسوعة السنة ، وذلك بتحقق أمور ثلاثة :

اولها : جمع الأحاديث .

ثانيها : التعريف بالمصطلحات .

ثالثهما : التعريف برجال الحديث .

وهو مشروع طويل المدى ، ولكن العمل بدأ فيه ، ونرجو من الله التيسير .

وان المشاريع التى ذكرنا تنال من عناية الأزهر الكثير .. واذا كان الحديث يقتضى التنويه بميدان بالذات ، فانه من غير شك ميدان التعليم : وذلك أن الأزهر

تتبعه معاهد لتعليم القرآن ، ومعاهد أخرى للتعليم الابتدائى ، ومعاهد للتعليم الثانوى وجامعة الأزهر وحدها أى التعليم العالى فى الأزهر يبلغ طلبتها حوالى الأربعين الفا ، يدرسون مختلف العلوم ، وقد استكمل الأزهر الآن فى جامعته مختلف العلوم ..

واذا كانت جامعة الأزهر وحدها تضم ما يقرب من الأربعين الفا فان معاهد الأزهر على مختلف مراحلها تضم آلافا من الطلبة ، نرجو الله سبحانه وتعالى أن يهيىء لهم مستقبلا كريما ..

المؤسسة الاسلامية المالية

اتفق وزراء مالية الدول الاسلامية على اقامة بنك اسلامى عالمى يكون سندا للدول الاسلامية تجابه به مطالب العصر وحاجاته ، والأمة الاسلامية وهى تملك الطاقة الضخمة من مصادر الثروة كما تملك فى نفس الوقت الطاقة الضخمة من القوة البشرية ، هذه الأمة أولى بها ثم أولى أن تدرك أهمية وحدتها الاقتصادية فى عصر قامت فيه التكتلات الاقتصادية العالمية بهدف نهب خيرات المسلمين والسيطرة عليهم اقتصاديا واستغلال ثرواتهم لخدمة أغراضهم الاستعمارية ولتدعيم الكيان اليهودى المعادى للاسلام والمسلمين .

اليوم قد آن لأمتنا الاسلامية ذات التشريع الانسانى والحضارة التالدة التى أضاءت للعالم طريقه نحوا من عشرة قرون من الزمان ، أن تتأهب لاستئناف القيام بدورها الحضارى من جديد ، فقد كان العالم الاسلامى ، وما يزال ، مصدراً للاشعاع الفكرى والحضارى ، تهتدى به البشرية فى مختلف عصور تقدمها . وهو أقدر اليوم على أن يبدد أسباب القلق وان يكون مصدر خير وبركة على العالم كله .

ومن أجل ذلك يجب انشاء (المؤسسة الاسلامية المالية للتنمية الاقتصادية) برأسمال يوزع على أسهم اسمية ولا يجوز لغير المسلمين الاكتتاب فيها أو تلقيها بالتنازل وانما تكتتب فيها الحكومات الاسلامية والجمعياتوالمنظمات والمؤسسات والأفراد والشخصيات الاسلامية حتى تقوم على أغراض مشروعات التنمية الاقتصادية فى مختلف مظاهرها من صناعة وزراعة وتجارة وخدمات لحسابها أو لحساب الغير أو بالاشتراك معه .

كما يجب أن تحتوى فى مجالها أوجه الاستثمار فى مشروعات التنمية وقبول الودائع وفتح الحسابات الجارية وتنظيم الاكتتابات العامة وسندات الشركات أو غيرها وانشاء صناديق مشتركة لاستثمارات الأوراق المالية وادارتها لحساب المشتركين وجميع الأعمال المتعلقة بالأوراق المالية وتحصيل ودفع الاوامر وأذون الصرف وغيرها من الاوراق ذات القيمة .

ومؤسسة كهذه تهدف الى توحيد الكيان الاقتصادى للأمة الاسلامية ودعم وابراز أسسه ومقوماته علميا وعمليا فكرا وتطبيقا ، لا بد لها من أن تنشىء صندوقا للزكاة يقتطع له ٢٫٥٪ من صافى الأرباح يضاف اليه ما يقدمه لها المسلمون من مال الزكاة لتنفق حصيلته على مصارف الزكاة الشرعية فى الاسلام بالنسبة للمسلمين فى جميع انحاء العالم وعلى خدمة نشر الدعوة الاسلامية واقامة المساجد والمدارس والمستشفيات .

وفقنا الله للخير والحق ، وهدانا لهديه الكريم ، وانار قلوبنا بنور الاخلاص واليقين .

عن مجلة الشبان المسلمين القاهرية

بأقلام القراء

واجب علماء المسلمين

فى خضم هذا الصراع الداوى بين الاسلام وخصومه ، بين الحضارة الحديثة بكل ما تملك من قوى مادية وفكرية ، وبين الاسلام وما يحوى من مثل عليا ومنهاج سوى يبنى الحياة ويسعد الانسانية المعذبة من شقوتها المادية ، وعدالة تصبو إليها النفوس ولن تجدها الا فى هذا الدين .

فى هذا الصراع يقوم واجب علماء المسلمين لانقاذ شباب المسلمين من وهدة المادية ، وفلسفات الإلحاد ، وفساد القيم ، وضلال المناهج ، والتحلل فى الأخلاق والسلوك .

ويتساءل نفر كيف يؤدى علماء المسلمين واجبهم المقدس ؟ أيبعث الفكر من شتى العصور وطبعه على ورق صقيل بدلا من الأصفر ؟ أو التبويب والتنظيم لكل ما جاء فى التراث الاسلامى ، ليقف هذا التراث امام الفكر المعاصر ؟ وهل يفى هذا التراث بكل حاجات العصر . ؟

ومع تقديرنا لهذا التراث المجيد ، وقد قام بالحفاظ على الاسلام وعقائده ، وكان مصدر قوة للاسلام وفخر واعتزاز . فإذا كان الاسلام قد انتصر عسكريا لدك صروح البغى والظلم فى امبراطوريتى فارس والروم ، فإنه قد انتصر فكريا وعقائديا وتمكنت جذوره فى نفوس البلاد المفتوحة حتى نسوا ماضيهم نهائيا ، وأصبحوا هم هو ، وهو هم . يدافعون عنه كما يدافعون عن انفسهم أو اشد .

وهذا كل ما نطلبه اليوم من علماء المسلمين . ان يبرزوا الاسلام كقوة محطمة للفكر المنحل فى الاقتصاد ، والاجتماع ، والسياسة . ولن يكون هذا ببعث الفكر الاسلامى عبر العصور . بل بدراسة لغة الحاضر ومناهج فكره ، دراسة التخصص فى شتى الدراسات الحديثة فى علم النفس ، والاجتماع ، والنظم السياسية والاقتصادية ، ثم نقدها بالاسلام نقدا ينهى تعلق الشباب بها . نقدا منهجيا موضوعيا تحنى له الجباه ويبهت الذى كفر . وأى تخلف عن هذه الدراسة الجادة فلن يجد الشباب الحائر بين زخرف المدنية الحديثة وبين دينه ودين آبائه واجداده إلا مزيدا من الحيرة والضياع ، والفناء فى الفكر الوافد .

والشباب اليوم يجد القصة العاطفية والتمثيل المسرحي ، وفنون الشعر من السهل الممتنع . تقوده الى ما يريد ، وتقنعه بكل ما يملى عليه ، حتى يظن القارىء انه بلغ غاية الثقافة من كل ما يقرأ .

فأين القصة الاسلامية التى توحى بفكرة الاسلام عن الحياة ونظامه فى المجتمع ، وسمو فكرته فى بناء النفس الانسانية ؟ ! ولا أريد قطعا القصص البائدة التي لا تمس المشاعر ولا تحرك الأحاسيس .

والشباب اليوم يتخرج من الجامعة ، وكل ما عنده حضارة الغير وأفكار الغير . فهو يتقمص شخصية غير شخصيته ويقلد غيره ليبدو مفكرا متطورا ، ويلحق بأساتذته الغربيين . فأين الفكر الاسلامى الحديث الذى ينقد الفكر المعاصر وينهى قدسية العلم الحديث فى النفوس المصبوغة به ، وتقوم الجامعات الاسلامية بدراسته ؟ !

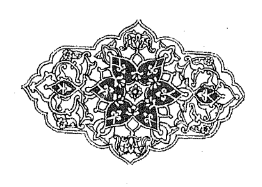
وعلى الرغم من وجود بعض المحاولات فى هذا ، فانه غير كاف . ولا هو بعمق الموضوعية الموسعة ، لنرى الفكر الاقتصادى الاسلامى منهاجا كاملا يحطم كل النظم الأخرى . ونرى الفكر السياسى الاسلامى يدك غرور النظم المعاصرة .

لقد نجحت النظم العصرية فى إقناع الفتاة . أن الاسلام قيد لا بد من التحرر والانطلاق من عقاله . رغم أن القيود الحديدية على حرية الانسان المعاصر لا تفكها الا الثورات الحمراء لكي تجدد قيودا أخرى لم تذق مرارتها بعد . كل هذه القيود السوداء على أعناق البشرية لا تظهر للعيان .

فهل أبان علماء المسلمين هذه القيود . لتحرر الانسان بالاسلام والى الاسلام ويقبل على الدفاع عنه كأشد ما يدافع عن نفسه وعرضه وأرضه ؟؟ !

أقدم هذه الصرخة المخلصة الى علماء المسلمين وانا اقل منهم باعا فى هذا . إنما حالة الاسلام تدفعنى الى هذا النداء الحار إليهم .

الشيخ محمد عبد الغنى ابو شرفى



أخبار العالم الاسلامي

اعداد : الأستاذ فهمي الامام

الكـويت :

● لقاءات خير وعمل تلك التي تمت في لاهور بين ملوك وأمراء ورؤساء الدول الاسلاميـــة لخدمة الاسلام والمسلمين ، وقد كان للكويت دور بارز في انجاح المؤتمر ، وكان لسمو الامير المفدى نشاط مرموق تجلى في اللقاءات المباركة التي تمت بين سموه وقادة المسلمين .

● تفضل حضرة صاحب السمو امير البـلاد المعظم فادلى بتصريح عقب عودته من مؤتمـر لاهور الاسلامي جاء فيه : يمتاز هذا المؤتمـر بالنظرة الواقعية لما تواجهه الشعوب الاسلامية من قضايا ومشاكل ، وما يواجهه الاســـلام كعقيدة من تحديات .

● زار البلاد وفد جزائرى برياسة الرئيس الجزائرى هوارى بومدين ليبحث مع المسئولين الكويتيين الوضع الراهن واحداث المنطقة . ويرى سمو الامير المعظم مع سيادة الضـيف ومعهما سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء وسمادة وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة.

● قام رئيس الاركان العامة بزيارة القـوات الكويتية وقوات سلاح الطيران الكويتي المرابطة في جمهورية مصر العربية .

● تقيم وزارة الاوقاف والشئون الاســلامية احتفالها السنوى بذكرى مولد الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك في مسجد السوق الكبير عقب صلاةعشاء الخميس ١١ ربيع الاول .

● تقوم الوزارة بارســال كميات كبيرة من المطبوعات الاسلامية باللغات المختلفة الى منطقة جنوب شرق آسيا وقارة افريقيا لما تتعرض له المنطقتان من تبشير نصرانى مركز .

● قرر مجلس الوزراء تقـديم مـزيد من المساعدات المالية للمسلمين في الفلبين .



صاحب السمو الامير مع جلالة الملك فيصـل



سمو أمير البـلاد والرئيس الجزائـرى هوارى بومدين .



سمو أمير البلاد مع أمير دولة قطر بحضـور رئيس وزراء ماليزيا



سمو أمير البلاد يستقبل في مقر اقامته بلاهور رئيس منظمة التحرير الفلسطينية .

مصـــر :

● الغيت الرقابة على جميع الصحف والمجلات ما عدا كتب ومجلات الجنس ، والكتب والنشرات التي تدعو الى الالحاد أو تطعن في الانبياء أو تهاجم الاهداف القومية للبلاد .

● صادرت السلطات مجموعة مصاحف مزورة كانت مرسلة بالبريد الى هيئات ومؤسسات خاصة في القاهرة والاسكندرية .. وتركز التزوير على حذف الآيات التي تتحدث عن اليهود وعن عيسى عليه السلام ، ويعتقد أن هذه المصاحف قد تم تزويرها في اسرائيل .

● قرر الازهر عقد ندوات لطلبة الجامعات والمعاهد العليا عصر كل يوم لنشر تحفيظ القرآن الكريم .. وقد افتتح الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر أولى هذه الندوات بالجامع الازهر.

● اجرى وفد اسلامي من جمهورية غينيا بيساو محادثات مع المسئولين في الازهر لبحث تدعيم العلاقات بين مصر وغينيا بيساو في المجال الاسلامي .

السعودية :

● ادلى السيد عمر السقاف وزير الدولة للشئون الخارجية بتصريح جاء فيه : ان موقف المملكة من عروبة القدس قد أوضحه جلالة الملك فيصل اكثر من مرة وهو يتمثل في الاصرار التام على عروبة هذه المدينة المقدسة .

● أصبحت « رابطة العالم الاسلامي » عضوا في الامم المتحدة .. كمنظمة عالمية غير حكومية .. وللرابطة نشاطات واسعة في مجال الدعوة الاسلامية والتقريب بين الشعوب الاسلامية .

● زار مانيلا وزير الخارجية السعودي للوقوف على أحوال المسلمين في الفلبين .

الجزائر :

● يبحث الملتقى الثامن للفكر الاسلامي الذي يعقد أوائل هذا الشهر في مدينة بجايه وضع الاقليات والجاليات الاسلامية ، ومساهمة الفكر الاسلامي في مجالات العلوم والفنون ، ودور المفكر المسلم تجاه أمته والانسانية .

سوريا :

● أعلن الرئيس السوري أن الحرب مع اسرائيل لم تنته ولن تنتهي بالنسبة الى سورية ما لم تتحرر الارض العربية بكاملها وما لم تعد الى شعب فلسطين حقوقه كاملة .

● صدر قرار حكومي بفرض غرامة مالية ضد كل من ينشر صورا مسيئة للاخلاق .

السودان :

● سيفتتح في السودان مركز اسلامي تساهم فيه الدول العربية والاسلامية وذلك لنشر الاسلام في افريقيا .

أخبار متفرقة

الفلبين :

● لا يزال المسلمون يقاومون بعنف العمليات الشرسة التي تستهدف ابادتهم ولا يزالون يترقبون من المسلمين الموقف الحازم لنصرتهم وحمايتهم .

لاهور :

● رفع السكرتير العام للمؤتمر الاسلامي تقريرا الى ملوك ورؤساء الدول الاسلامية تضمن انشاء مجلس اسلامي أعلى يضم العلماء والفقهاء بهدف وضع خطة اسلامية ، تتمشى مع روح العصر ، وانشاء جامعتين اسلاميتين في اوغندا والنيجر .

كوالا لامبور :

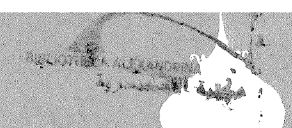
● يقوم السيد تنكو عبد الرحمن رئيس اللجنة التحضيرية للبنك الاسلامي بجولة في الاقطار العربية لشرح التقدم الذي احرزه بصدد انشاء البنك .

بانكوك :

● صرح مصدر مسئول بان عددا من الشخصيات الاسلامية في تايلاند بصدد تاسيس هيئة للدفاع عن مصالح المسلمين في البلاد .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ربيع الأول ١٣٩٦	مارس ١٩٧٦	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الاثنين	١	٢٥	٤١٧	٥٤٧	١١٥٥	٣٢٣	٦ ٢	٧٢٠	١٠١٥	١١٤٥	٥٥٣	٩٢١	١ ١٨
الثلاثاء	٢	٢٦	١٦	٤٦	٥٤	٢٣	٢	٢٠	١٤	٤٤	٥٢	٢١	١٨
الاربعاء	٣	٢٧	١٥	٤٥	٥٤	٢٣	٣	٢١	١٢	٤٢	٥١	٢٠	١٨
الخميس	٤	٢٨	١٤	٤٤	٥٤	٢٣	٤	٢٢	١٠	٤٠	٥٠	٢٠	١٨
الجمعة	٥	٢٩	١٢	٤٢	٥٣	٢٤	٤	٢٣	٨	٣٨	٤٩	١٩	١٩
السبت	٦	٣٠	١١	٤١	٥٣	٢٤	٥	٢٤	٦	٣٦	٤٨	١٨	١٩
الاحد	٧	٣١	١٠	٤٠	٥٣	٢٤	٦	٢٥	٤	٣٤	٤٧	١٨	١٩
الاثنين	٨	ابريل	٨	٣٩	٥٣	٢٤	٦	٢٥	٢	٣٣	٤٧	١٧	١٩
الثلاثاء	٩	٢	٧	٣٨	٥٢	٢٤	٧	٢٦	٠٠	٣١	٤٦	١٧	١٩
الاربعاء	١٠	٣	٥	٣٦	٥٢	٢٤	٧	٢٦	٩٥٨	٢٩	٤٥	١٦	١٩
الخميس	١١	٤	٤	٣٥	٥٢	٢٤	٨	٢٧	٥٦	٢٧	٤٤	١٦	١٩
الجمعة	١٢	٥	٣	٣٤	٥١	٢٣	٨	٢٨	٥٤	٢٦	٤٣	١٥	١٩
السبت	١٣	٦	١	٣٢	٥١	٢٣	٩	٢٩	٥٢	٢٤	٤٢	١٤	٢٠
الاحد	١٤	٧	٠٠	٣٢	٥١	٢٣	٩	٢٩	٥١	٢٣	٤٢	١٤	٢٠
الاثنين	١٥	٨	٣٥٩	٣١	٥١	٢٣	١٠	٣٠	٤٩	٢١	٤١	١٣	٢٠
الثلاثاء	١٦	٩	٥٨	٣٠	٥٠	٢٣	١٠	٣١	٤٨	٢٠	٤٠	١٢	٢٠
الاربعاء	١٧	١٠	٥٧	٢٩	٥٠	٢٣	١١	٣١	٤٦	١٨	٣٩	١٢	٢٠
الخميس	١٨	١١	٥٥	٢٧	٥٠	٢٢	١١	٣٢	٤٤	١٦	٣٨	١١	٢٠
الجمعة	١٩	١٢	٥٤	٢٦	٤٩	٢٢	١٢	٣٢	٤٢	١٤	٣٧	١٠	٢٠
السبت	٢٠	١٣	٥٢	٢٥	٤٩	٢٢	١٢	٣٣	٤٠	١٣	٣٧	١٠	٢١
الاحد	٢١	١٤	٥١	٢٤	٤٩	٢٢	١٣	٣٤	٣٨	١١	٣٦	٩	٢١
الاثنين	٢٢	١٥	٥٠	٢٣	٤٨	٢٢	١٣	٣٤	٣٧	١٠	٣٥	٩	٢١
الثلاثاء	٢٣	١٦	٤٩	٢٢	٤٨	٢٢	١٤	٣٥	٣٥	٨	٣٤	٨	٢١
الاربعاء	٢٤	١٧	٤٨	٢١	٤٨	٢٢	١٥	٣٦	٣٣	٦	٣٣	٧	٢١
الخميس	٢٥	١٨	٤٦	٢٠	٤٨	٢٢	١٥	٣٧	٣١	٥	٣٣	٦	٢١
الجمعة	٢٦	١٩	٤٥	١٩	٤٨	٢٢	١٦	٣٨	٢٩	٣	٣٢	٦	٢٢
السبت	٢٧	٢٠	٤٤	١٨	٤٨	٢٢	١٧	٣٩	٢٧	١	٣١	٥	٢٢
الاحد	٢٨	٢١	٤٢	١٧	٤٧	٢١	١٧	٣٩	٢٥	٠٠	٣٠	٤	٢٢
الاثنين	٢٩	٢٢	٤١	١٦	٤٧	٢١	١٨	٤٠	٢٣	١٠٥٨	٢٩	٤	٢٢


BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

أم المؤمنين

السيدة حفصة رضى الله عنهـــا

اســـــمها : حفصة ، وابوها أبو حفص عمر بن الخطــاب ، وامها زينب بنت مظعـــون .

مولدهــــا : ولدت قبل البعثة المحمدية بخمس سنوات .

زواجهـــــا : تزوجها الصـــحابى الجليل خنيس بن حـــذافة ، وكان من مهاجرى الحبشة وشهد أحدا ومات سنة ثلاث من الهجـــرة وكانت آنئذ فى سن الثامنة عشرة . وتزوجها رســـول الله بعد السيدة عائشة سنة ثلاث من الهجرة على الأرجح .

روايتها للحديث : روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستين حـــديثا ، اتفق البخارى ومسلم على ثلاثة منها ، وانفرد مسلم بستة .

حفظها للمصحف : أم المؤمنين حفصة هى الحافظة الأمينة على اول نسخة من المصحف الشريف ، وذلك انه لما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه الأعلى جمع ابو بكر المصحف الكريم واودعه عند أم المؤمنين حفصة ، وبقى المصحف لديها حتى أخذه عثمان بن عفان رضى الله عنه فنسخ منه النسخ التى وزعت فى الأمصـــار .

وفاتهـــــا : تفرغت حفصة للعبادة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاشت صـــوامة قوامة حتى فارقت الدنيـــا ســـنة خمس واربعين من الهجـــرة .



« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغازى : مكتبة الخراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شارع فرنسا .

المغرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٧) .

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العراق : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .

قطر : الدوحة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبى : مطبعة دبى .

الكويت : مكتبة الكويت المتحدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت